الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر – الوادي –

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الفونيم بين المفاهيم النّظريّة الغربيّة وخصائص اللّغة العربيّة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

إعداد الطالبتين :
- أسماء باي
- أم الخير بوخالفة

إشراف الأستاذة:
د.هناء سعداني

السنة الجامعية : 1439-1440هـ / 2018-2019م

شكر وعرفان

الشّكر كلّ الشّكر لله العليّ القدير أوّلا على أن وفّقنا لإكمال هذا البحث، ونسأله سبحانه

أن يكون هذا العمل المتواضع لبنة من لبنات البحث العلمي لتنمية الدراسات العلمية .

يسعدنا ويطيب لنا أن نزجي موفور الشكر والاحترام إلى:

- الأستاذة الفاضلة الدكتورة **هناء سعداني** التي تكرّمت علينا بقبولها الإشراف على هذه الدّراسة، فكانت نعم

النّاصحة ونعم الموجّهة وخير معين طيلة إنجاز هذا العمل، فجزاها الله عنّا كل خير وزادها رفعة وعلما .

- السّادة أعضاء لجنة المناقشة الموقّرة، الّذين شرّفونا بقبولهم مناقشة هذه المذكّرة وأتحفونا بآرائهم القيّمة الثّرية

وملاحظاتهم السّديدة .

- إلى روح الأستاذة الدّكتورة **عائشة عويسات** الّتي أبهجتنا ببسماتها وأسقتنا من علمها

نسأل الله أن يتغمّدها برحماته في جنّة الفردوس الأعلى .

- كلمة شكر واعتراف بالجميل إلى قرّة عيني **"**أمي"وسندي الدّائم"أبي" وكل من أسهم

من قريب أو بعيد في إخراج هذا البحث بهذه الحلّة

فجزاهم الله عنّا خير الجزاء .

المقدّمة

الخاتمة

المقدّمة:

إنّ اللّغة هي مرآة المجتمع وصورته العاكسة لأفكاره وحاجاته، فهي الوسيلة التي يتسلّح بها الفرد للدّفاع عن نفسه وتبليغ آرائه، والتّعبير عن مشاعره، لذلك كان من الواجب على الإنسان أن يفقه اللّغة التي يُخاطب بها أو على الأقلّ أن يُدرك كُنهها ومادّتها.

ولمّا كانت الأصوات هي اللّبنة الأولى للّغة فقد استحوذت على اهتمام علماء الغرب والعرب على حدّ سواء، القدامى منهم والمحدثين، فشهدت اللّغة في هذا الجانب تطوّرا مدهشا أدّى إلى ظهور علم كامل المعالم والصّفات يدرس الصّوت اللّغوي من كل جوانبه،هو علم الأصوات بنوعيه:الفونيتيك والفونولوجيا.

حيث عرف علم الأصوات الفونولوجي تطوّرا كبيرا في مجال الأبحاث الصّوتية، وقد شكّل موضوع الفونيم الجزء الأكبر من ذلك، إذ يُعادل اكتشاف الفونيم اكتشاف الطّاقة النّووية، فكما أحدثت هذه الأخيرة ثورة في العلوم التّقنية، أحدث الفونيم ثورة في التّفكير اللّغوي.

فجاء بحثنا لدراسة نظرية الفونيم وفق التّصورات التي وصلت إلينا عن هذه النّظرية في الدّرس اللّغوي الغربي على يد روّاده الأوائل الذين قدّموا لنا تفسيرات مختلفة حول هذا المفهوم الجديد، مُحاولين في الوقت نفسه معرفة مظهر وجود عناصر هذه الدّراسة الفونولوجية في اللّغة العربية وما انفردت به من خصائص ميّزتها عن اللّغات الأخرى، ومن هنا جاء بحثنا بعنوان: " **الفونيم بين المفاهيم النّظرية الغربية وخصائص اللّغة العربية** "

يحاول هذا الموضوع مُعالجة الإشكالية القائمة بين ما توصّل إليه لسانيّو الغرب من نتائج حول مفهوم الفونيم وعلاقة ذلك باللّغة العربية، وقد تفرّعت الإشكالية إلى تساؤلات ثانوية هي:

_هل كان مفهوم الفونيم حاضرا في الدّرس الصّوتي العربي القديم بالمفهوم الذي عرفه الدّرس الغربي؟

_هل عرف العرب مصطلحا صوتيا يُعادل مصطلح الفونيم ؟

_ماهي التّنوّعات الصّوتية المتفرّعة عن الفونيم؟وماهي مصطلحاتها؟ وهل كانت موجودة في الدّرس الصّوتي العربي؟

–وهل دائما للتّنوّعات الموقعية للفونيم وظيفة تمييزية بين معاني الكلمات؟

_وهل كلّ ما توصّل إليه الغرب حول نظرية الفونيم يتناسب مع لغتنا العربية؟

ولقد كانت جدّة عنواننا من أهمّ الدّوافع التي حفّزتنا للخوض في هذا الموضوع ذلك أنّه طرح جديد ورؤية مخالفة لما سبق، إضافة إلى أنّه يُعالج المادة الأساسية لكلّ لغة ودورها في إنتاج المعاني والدّلالات وما يعرض لها من تغيّرات صوتية أثناء انجاز حدث الكلام.

أمّا فيما يخصّ الخطّة التي اعتمدنا عليها لإنتاج هذا البحث فقد اُستهلّت بمقدمة فمدخل وفصلين ثمّ خاتمة، وتفصيل ذلك كالتّالي:

المدخل وقد شمل التّعريف بحدود عنوان بحثنا من خلال الحديث عن الفونيم كمصطلح ومفهوم في الدّراسات الغربية وصورته في التّراث العربي ومفهومه وكذا خصائص اللّغة العربية.

أمّا الفصل الأوّل فجاء بعنوان: شروط ضبط الفونيم، وقد ضمّ عناصر هي: كيفية تحديد الفونيم (عند الغرب والعرب)، الديافون وصلته بالفونيم، الفاريفون وصلته بالفونيم.

أمّا الفصل الثّاني فقد حمل عنوان: موقعيه الفونيم وخصائصها وقد عالجنا فيه جملة من العناصر هي: موقعية الفونيم وخاصية الإبدال والقلب وكذا الفونيم وتنوّعاته الموقعية، ثمّ ختمنا بحثنا بخاتمة أُجملت فيها النّتائج التي توصّلنا إليها.

أمّا عن أهم المصادر والمراجع التي كانت لها صلة وثيقة بموضوع بحثنا، وكان لها الفضل في إضاءة الكثير من جوانب الموضوع نذكر منها:

دراسة الصّوت اللّغوي لأحمد مختار عمر، علم وظائف الأصوات اللّغوية الفونولوجيا لعصام نور الدّين، مناهج البحث في اللّغة لتمّام حسّان، مبادئ علم وظائف الأصوات الفونولوجيا لتروبسكوي.

أمّا فيما يخصّ المنهج المتّبع في هذا البحث فهو: المنهج المقارن والذي استعنّا فيه بآلية الوصف والتّحليل؛ ذلك أنّ طبيعة الموضوع استوجبت المقارنة بين ما توصّل إليه الغرب من نتائج حول نظرية الفونيم وما يتناسب مع لغتنا العربية.

وكما لا يخلو أيّ جهد من عناء فقد واجه البحث بعض الصّعوبات والمتمثّلة في: صعوبة فصل عناصر البحث منهجيا في شكل خطّة منظّمة؛ وذلك لأنّ العناصر متداخلة ومن الصّعب الفصل بينها، وكذا صعوبة الحصول على المصادر الأصلية الأجنبية التي عالجت نظريّة الفونيم ممّا قادنا إلى الاستعانة بالكتب المترجمة.

إلاّ أنّ هذه الصّعوبات لم تُثنينا عن المُضيّ قُدما لإتمام بحثنا وهذا بفضل اللّه أوّلا ثمّ ما قدّمته الأستاذة المشرفة الدّكتورة " **هناء سعداني**"التي كانت لنا كالمصباح المُضيء والسّراج المنير الذي أزاح عنّا عتمة الطّريق ووجّهنا إلى جادّة الصّواب.

المدخل

1_مدخل تاريخي حول الفونيم.

2_مفهوم الفونيم في الدراسات الغربية .

أ_ مفهوم الفونيم عند جان بودوان Jan Baudouin.

ب_ مفهوم الفونيم عند فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure

ج_تروبتسكوي N–S. Troubetzkoy.

د_ رومان جاكبسون Roman Jakobson.

هـ_ مفهوم الفونيم عند دانيال جونز Daniel Jones.

و_ مفهوم الفونيم عند ماريو باي mario pei.

3_صورة الفونيم في التراث العربي.

4_الخصائص الصّوتية للّغة العربيّة.

1 _مدخل تاريخي حول الفونيم :

يردُّ بعضهم أولى التّصوّرات لنظريّة الفونيم إلى ماضٍ تاريخي سحيق، حين اهتدى الإنسان إلى الكتابة الألفبائيّة التي لا ترمز للكتابة ككل ولا للمقطع ككل وإنّما للأصوات التي تشكّل الكلمات[1].فإذا رجعنا إلى الألفبائيّة السّنسكريتيّة نجدها _ في جملتها _ قد أقيمت على أساس فونيمي يرمز للوحدات، وليس للتّنوُّعات الصَّوتية[2]. ومثل هذا نجده في الألفبائيّة الإغريقيّة التي تتمثّل فيها الفونيمات التّركيبيّة خير تمثيل[3]. وكانت هذه الطريقة الجديدة بمثابة ترجمة لتصوّرات ذهنية للأصوات التي تشكّل الكلمات و قدّمت الدّراسات الحديثة بعد ذلك نتائج تدعم هذا الرّأي وتأكّده[4] .

فقد بدأ الأساس الفونيمي يفرض نفسه مرّة ثانية على يد روّاد عاشوا في أواخر القرن الثّامن عشر[5]. ويرجع الفضل في تصوّر الفونيم إلى اللّغوي البولندي " جان بدوين دي كورتيناي Jan Bauduin de courtenay" الذي يُعدّ المكتشف الأوّل للطّبيعة اللّغوية للفونيم[6]. ويتبدّى هذا الوعي العميق بالقيمة اللّسانية للفونيم في المقال الذي نشره عام (1869 م) وكان مقالاً عميقاً إذ عبّر عن مدى إدراكه للوظيفة التّميزيّة للعناصر الصّوتية في الكلام وهو المقال الذي يحمل عنوان Changement du S(ss)en CH en polonais.[7]

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، 1997م، ص:127.

2- يُنظر: أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند الهنود وأثره على اللّغويين العرب، دار الثقافة، بيروت _ لبنان، د.ط، 1972م، ص:26_27.

3- المرجع السابق، ص:127_128.

4- مجدي حسين أحمد شحادات، نظريّة الفونيم نشأة وتطوّر، مجلّة الذّاكرة، مخبر التّراث اللّغوي والأدبي في الجنوب الشّرقي الجزائري، العدد7، ماي2016م، ص: 226.

5- المرجع السابق، ص: 128.

6- فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللّسانيات، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط 2، 2016 ص:107.

7- أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، منشورات كلّية الدّراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتّحدة، ط 2، 2013، ص:213.

وقد تحقق له ذلك بالضّبط عام1870م الّذي صادف إلقاء محاضرته الافتتاحية في جامعة [بطرسبورغ][1].

فقد كان أوّل من دعا إلى ضرورة التّمييز بين الصّوت الخام في الكلام، أو بتعبير آخر بين ما يلفظُه المُتَكَلّمُ حقّاً وشيء آخر هو الفونيم أي ما يظنُّ المُتَكلّم أنّه يلفظه والمستمع أنّه يسمعه[2]. وقد استخدم الكلمة الروسية:fonema لهذا الغرض وقد نشر نظريّته عن الفونيم عام 1893م [3].

هذا هو المعروف المشهور الذي أجمع عليه جمهور اللّغويين[4]. إلاّ أنّ بعض العلماء يرى أنّ مفهوم الفونيم اُكتشف على يد "هنري سويتHenry Sweet"في لندنعلى الرّغم من عدم استخدامه لهذا المصطلح، فقد طَوّرَ سويت نظاماً صوتياً سماه(Broad Romic) يمثّل فيه كل رمز بمجموعة من الأصوات المتشابهة. وإنّ فكرته القائلة بأن العائلة المتشابهة من الأصوات التي تعمل معاً في اللّغة، والتي يمكن تمييزها عن أصواتها المنفردة في أثناء الكلام الشّفوي لفكرة جديدة ونشر كتابه عام 1877م.[5]

وقد جاء في بعض المراجع أنّ أحد تلامذة بدوين دي كورتيناي هو " كروسوفسكيkruszweski "هو أول من استعمل كلمة (fonema)[6] .

1- يُنظر رومان جاكبسون، ست محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي بيروت_ لبنان، ط1، 1994، ص:64.

2- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص:213.

3- يُنظر: ر. هـ. رُوبنز، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1997، ص:292.

4- فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللّسانيات، ص:108.

5- يُنظر: أساسيات علم الكلام، جلورياج بوردن وكاثرين س. هاريس، تر: محي الدّين حميدي، دار الشرق العربي، لبنان، د.ط، د.ت، ص:42.

6- يُنظر: ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، د. ت، ط2، 2000، ص:233.

أمّـــا أوّل مـــن اســـتخدم مصـــطلح "فـــونيمphoném" فقـــد كـــان "دوفريشديزجينتDefricheDesgenttes" فقد اقترحه على الجمعيّة الفرنسيّة للّسانيات بديلاً للتّعبير الفرنسي الذي لا يزال يُستعمل وهو "Son du langage" (صوت لغوي) وتلقّى عالم الدّراسات الرّومانية "ل. هافيت L.Havet" اقتراح "دوفريشديزجينت" بالقبول وشرع في استخدام المصطلح الجديد ومنه انتقل المصطلح إلى "فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure" ممّا ضمن له ذيوعاً في الحلقات اللّسانية[1]. فقد اكتسب هذا المصطلح الشّهرة و السّعة في الانتشار في أوساط اللّسانيين في العقد الثاني من القرن العشرين وذلك بفضل استخدام سوسير له، وبعد أن أخذت أفكاره تُحدث أثرها[2]، ونظَراً إلى أنّ مفهوم الفونيم هو أحد المفاهيم الأساسيّة للّسانيات، فقد أُختلف في تعريفه كثيراً، شأنه في ذلك شأن مُعظم المفاهيم الأساسيّة في مختلف العلوم والفنون التي يصعب إعطاء تعريف دقيق لها، ويرْجِع اختلاف العلماء بشأن تعريفه إلى اختلاف وجهات نظرهم إليه[3].

1–ينظر: ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللّساني،ص:233. ويُنظرأيضاً: أحمدمختارعمر،دراسةالصّوتاللّغوي،ص:169.

2 –يُظر: ر. هـ. روبنز موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب،ص: 292.

3_فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللّسانيات، ص:108.

2 _مفهوم الفونيم في الدراسات الغربية:

أ_ مفهوم الفونيم عند جان بودوان-11-03-1845/03-13) Jan Baudouin 1929): يرى Jan Baudouinأن اللّغة تحيا فقط في عقول الأفراد. هي لاتتطور وتحيا تبعاً للقوانين الصّوتية، لأنّ مثل هذه القوانين غير موجود، ولكن تبعاً للقوانين العقليّة، وعرَّف الفونيم بأنّه "الصُّورة العَقلية للصَّوت"[1]، وقد كان له تفسير نَفْسي للفونيم[2]،فهو يرى أنّ "الفونيم هو المعادل النّفسي للصّوت اللّغوي"[3]. وفرّق بهذا بين نوعين من علم الأصوات أوّلهما علم الأصوات العُضوي، وثانيهما علم الأصوات النّفسي وجعل الأوّل لدراسة الأصوات المنطوقة والثّاني لدراسة الأصوات المَنْويَّة في النّطق[4]، وقد دعاه هذا التّفريق بين علم الأصوات العُضوي وعلم الأصوات النّفسي إلى التّفريق بين نوعين من الكتابة الصَّوتية:

الأول: لكتابة الأصوات المنطوقة بالفعل.

الثاني: لكتابة الفونيمات، أي الصّورة الذهنية للأصوات التي يفترض أنّ المتكلم يُحاول نُطقها، ولكنه قد ينجح في ذلك وقد لا ينجح[5].

وقد اعتبر بادوين الفونيم "مجرّد صورةٍ أو مثالٍ يبقى واحداً في نفسه مهما اختلف نفسياً أو فيزيائيّاً" عن طريق تمثيله بأصوات واقعية مختلفة، وذكر أن كل اختلافاته النّوعية إنما تقع داخل حدود معينة لا تتجاوز حدّاً أقصى، ولا تهبط إلى ما دون حدٍ أدنى[6].

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص:176

2- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2000، ص:487

3- عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية الفنولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت،ط.1، 1992، ص:75.

4- تمّام حسان، مناهج البحث في اللُّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة،د.ط، 1990، ص:129.

5- المرجع السابق، ص:75.

6- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص:176.

ومفهوم "جان بودوان" يدخل ضمن النّظرة العقليّة أو النّفسية والتي تعتبر الفونيم "صوتا نموذجياً" يهدف المتكلّم إلى نطقه، ولكنّه ينحرف عن هذا النّموذج إمّا لأنّهمن الصّعب أن ينتج صوتين مكرّرين متطابقين أو لنفوذ الأصوات المجاورة.[1]

ب_ مفهوم الفونيم عند فرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure(26-11-1857/ 22-02-1913):

بدأ فرديناند دي سوسير معالجة قضية الفونيم عندما دعا إلى وجوب دراسة الجانب السمعي (الأكوستيكيacoustique) إلى جانب الجانب العضوي، والذي دفع دي سوسير إلى قول ذلك هو عكوف كثير من علماء الأصوات phonologistes على دراسة حدث التَّصويت L'acte de phonation، أي إنتاج الأصوات بواسطة أعضاء النطق (الحلق، والفم...الخ)، وإعراضهم عن دراسة الجانب السّمعي le coté acoustique[2].لذلك فقد عرّف دو سوسير الفونيم بقوله "الفونيم هو الحصيلة النّهائية للانطباعات السّمعيّة وحركات النّطق وهو الأثر المتبادل للوحدات السّمعيّة والوحدات المنطوقة: إذن فهو وحدة مركبة لها جذر في السلسلة المنطوقة وآخر في السلسلة السّمعية."[3]

فالتّأثير الواقع على الأذن هو الأساس الطبيعي لكل نظرية، وهذا العنصر السمعي يوجد بصورة لاشعورية عندما نبدأ النّظر في الوحدات الفنولوجية Les unités phonologique لأنّنا نعرف بواسطة الأذن، ماذا يكون صوت (b) أو (t) مثلا، لذلك كان الاعتماد على السّمع من أجل معرفة "الوحدات الصوتية" وتمييز بعضها من بعض، لأننا ندرك مباشرة في سلسلة الكلام المسموع، إن كان الصّوت ممثّلاً لصفاته أملا. [4]

1- المرجع السّابق، ص:175.

2- يُنظر: عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللّغوية الفنولوجيا، ص62.

3- فرديناند دي سوسير، علم اللّغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، د.ط، 1985، ص:58.

4- المرجع السّابق، ص: 63.

ويكمل سوسير ضبطه لمفهوم الفونيم من خلال وصفه الآتي:

أنّ تقسيم الأصوات في السلسلة المنطوقة لا يكون إلاّ على أساس الانطباعات السّمعية. أمّا وصف هذه الأصوات فمسألة أخرى.إذ لا يمكن القيام بوصف الأصوات إلاّ على أساس عمل فعل النّطق، فمن الصّعب أن نقوم بتحليل لوحدات الصّوت في سلسلتها بل ينبغي علينا أن نعود إلى الحركات التي تنطوي عليها العملية الصوتية[1]، مما يوجب اللجوء إلى سلسلة حركات التّصويت... وسنلاحظ حينئذٍ أن الصّوت الواحد يقابله حدث واحد خاص به.

فصوت /b/ (زمن سمعي) = صوت'b (زمن نطقي)، والوحدات الأولى التي نحصل عليها عند تقسيم السلسلة المنطوقة سوف تكون مركّبة من (b ،'b)، وهي التي نطلق عليها اسم: "فونيم phonème"[2] .

ومن الواضح أن تعريف الفونيم على هذا النّحو _هو تقريباً_ نفس التّعريف الذي أخذ به معجم روبير Robert الفرنسي مما يؤكد احتمال أن دو سوسير هو صاحب هذا المصطلح أساساً حين استخدمه في الربع الأخير من القرن التاسع عشر للدلالة على هذا المفهوم.[3] "دوسوسير يعني بتعريفه للفونيم أنه مفهوم مركب،لابد في تصوره من اعتبار الجانب السّمعي والجانب العضوي، فكل منهما شرط في حدوثا لآخر، ولكل وحدة صوتيّة (فونيم) زمن تستغرقه، لايمكن تصورها بدونه، فإذا نطقنا مثلا مقطعاً في صورة (ta) فهو مجموع من زمنين متواليين أو هو:

امتداد زمن معين (t) + امتداد آخره(a)" إذا أردنَا فصل هذه الوحدة الصّوتية عن الزمن، فإننا نضعها في حالة تجريد، فنتحدث مثلا عن الصّوت (t) أوعن النّوع (T) مجرداًin abstracto. [4]

1- فرديناند دو سوسير، علم اللّغة العام، ص:57.

2- عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية الفنولوجيا، ص:64.

3- عبد الصّبور شاهين، في علم اللّغة العام، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط.6، 1993، ص:119.

4- المرجع نفسه، ص: 119_120، وينظر أيضا: أحمد حسّاني، مباحث اللّسانيات،ص:213.

ولكي نصل إلى حصر الوحدات الصّوتية التي تقوم عليها لغة معيّنة يجب أن نحلل عدداً كافياً من السلاسل المنطوقة فيها، ليمكن تصنيفها، ومن أجل هذا ينبغي أن نتجاهل بعض الفروق التي لا تهم من النّاحية السّمعية، لنصل في النّهاية إلى قائمة الأنواع، أو الوحدات الصوتية أو الفونيمات[1].

"ومن العلماء طائفة ترفض الإدراك النّفسي للفونيم، ويقولون في نفس الوقت إنّ الفونيم لا يوصف عن طريق الأصوات التي توضّحه، بل يحدّدونه في ضوء وظيفته التّركيبيّة في اللّغة وفي مقدّمة هؤلاء تروبتسكوي[2].

ج_مفهوم الفونيم عند تروبتسكوي N-S. Troubetzkoy: (1890_1938):

يرى تروبتسكوي أنَّ الفونيم هو: "أصغر وحدة فونولوجية في اللّسان المدروس[3]""حيث يرى تروبتسكوي أنَّ كل صوت مكوّن من مجموعة من العناصر، هي بمجموعها غير قابلة للتّجزئة أو التّحليل قال: "من النّاحية الصّوتية كل (باءٍ) تتمثل في سلسلة من الحركات النّطقية:

أولاً: تقترب الشّفتان، إحداهما من الأخرى بحيث تُغلقان إغلاقاً تاماً المجال الفموي الأمامي. وفي نفس الوقت: يبدأ الوتران الصّوتيان في التّذبذب، في حين يخترق الهواء الصّاعد من الرِّئتين الفراغ الفموي، ويجتمع خلف عقبة الشفتين. وأخيراً تزول هذه العقبة تحت ضغط الهواء المندفع.

وكل من هذه الحركات مرتبط بأثر سمعي محدّد، بحيث أنّه جزئيّة من هذه الجزئيات

1- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2- تمام حسَّان، مناهج البحث في اللغة، ص:130.

3- عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية، ص:65.

السّمعية (Atomes accoustiques) لايمكن اعتبارها وحدة فنولوجية لأنّها تبدو دائماً كُل آلا يمكن افتراقها في مابينهامطلقا؛ فالباء كلّها إذنْ: تُعتبر وحدة فنولوجية غير قابلة للتحليل من حيث الزمن، ومن الممكن أن نقول نفس الشّيء عن الوحدات الفنولوجية الأخرى"[1].

"فمن وجهة نظر اللّسان المبحوث فيه، فإن هذه الوحدات الفونولوجية التي لا تقبل التحليل ولا التّجزئة إلى وحدات فونولوجية إلى أصغر ما تكون وعلى التّتالي فنحن نطلق عليها مصطلح **الوحدات الصوتية الصغرى** أو **الصويتات** (الفونيمات) فالصّويت إذاً: هو أصغر وحدة فنولوجية في أي لسان مدروس. والوجه الدال من كل لفظ موجود في اللّسان يقبل التّحليل إلى وحدات صوتية."[2]

ومن ثمة فإنّ الصّفة الوظيفية التي تسمح بتعريف الفونيم علمياً تتمثّل في كونه يدخل في تقابل فنولوجي الذي هو: "كل تضاد تصويتي جائز في اللّسان المبحوث فيه بشرط أن يُميِّز الدّلالات العقلية ونطلق مصطلحا لوحدة الفنولوجيّة المميَّزة على كل حدأ وطرف في ذلك التقابل."[3]

"كما يَجْدُرُ بنا الإشارة إلى أنّ تروبتسكوي في بداية مشواره حذا حذو 'دوان Jean Baudoin' الذي يقول أنّ الفونيم صوت مفرد له صورة ذهنية أي أنّه فكرة نفسيّة عقليّة ليَعْدِل عن ذلك في آخر حياته ويعتبره مفهوماً وظيفياً."[4] إذ يقول: "ذلك أنّ الوحدة الصّوتية هي قبل كل شيء مفهوم وظيفي وينبغي أن نعرِّفه بالنِّسبة لوظيفته. ومن ثمَّ لا يمكن

1- عبد الصبور شاهين، في علم اللّغة العام، ص:121، 122.

2- تروبتسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات الفنولوجيا، تر: قنيني عبد القادر، دار قرطبة للطباعة والنشر، زنقة بيرون_ الدار البيضاء_، ط1، 1994، ص:37، 38.

3- المرجع نفسه، ص: 36.

4- عبدالقادر الشاكر، علم الأصوات العربية "علم الفنولوجيا"، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان_،ص:40.

أن نحصل على تعريف الوحدة الصَّوتية بواسطة مفاهيم سيكولوجية [1]" ذلك أنّ الصّوت لا يُعامل كوحدة مُستقلّة وإنّما هو عنصر في بناء كلّي هو حدث الكلام المستمرّ المسموع لأنّ الوحدة الصّوتية تتحدّد في التّركيب الصّوتي المنطوق لا بذاتها.

د_ مفهوم الفونيم عند رومان جاكبسونRoman Jakobson (1896-1982):

" لقد تطوَّر مفهوم الفونيم عند جاكبسون ليُصبح مجموعة من السِّمات المميَّزة التي تتبع من الخصائص النّطقية والسّمعية المحدِّدة لكل صوت من أصوات اللّغة مثل موضع النّطق وصفته، فتقسيم الصّوائت والصّوامت لم يعد قائماً على أساس فيزيولوجي فقط من حيث اندفاع الهواء دون اعتراض في الصَّوائت واعتراض في الصَّوامت في موضع معيَّن من الجهاز النُّطقي، وإنّما هو مبني على اعتبارات سمعية أيضاً وهي الاختلافات في السِّمات التَّمايزية لكل منهما من حيث الوضوح في السَّمع وطول الصّوت وارتكازه وتنغيمه، فقد يستوي صامت وصائت في الطّول والنّغم ولكنّهما يختلفان في النَّبرة، ولدقّة هذه الدِّراسة وصعوبة تحديدها بأمانة متناهية عمد جاكبسون إلى إدخال الأجهزة والآلات للاستعانة بهافي الدّراسة الصّوتية ممّاأدّى إلى تطوّرهذه الدِّراسة باتجاه مايُعرف اليوم باسم علم الأصوات التّجريبي."[2]

وقدأصرَّ جاكبسون على أنَّ كل سمة تمايزية هي ثنائيّة فلم يعتمد في مجال الفنولوجيا على الوصف اللَّفظي للفونيم وإنّمااعتمدعلى الوصف السّمعي القائم على خصائص الموجات الصَّوتية وقدمكَّنته هذه الأبحاث من معرفة الخصائص التَّمايزية الثنائية

1- تروبتسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات "الفنولوجيا"، ص:43.

2- فاطمة طبّال، النّظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسّسة الجامعية للدّراسات و النّشر، بيروت _لبنان، ط.1، 1993، ص: 32.

فالفونيمات (p) و(b) يتقابلان في الفرنسيّة لأنّهما يُستخدمان في التّمييز بين pierre وbierre فتقابلهما لا يقوم إلاّ على سمة واحدة، وهو بالتّالي ليس تقابلاً كلياّ شاملاً وإنّما ينحصر في العلاقة بين المجهور(b) وغير المجهور (p) فنحن لا يمكن أن نُميِّز الفونيم المجهور إلاّ إدا كان هناك فونيم غير مجهور، وهذه الثّنائية هي التي تجعل السِّمة أكثر وضوحاً وبروزاً، فكل العلاقات بين الوحدات الصَّوتية التَّمايزية في لغات مختلفة تخضع لنظام ثنائي (وجود أو عدم وجود سمة تمايزية معينة.)"[1]

هـ_ مفهوم الفونيم عند دانيال جونز Daniel Jones (12-09-1881/04-12-1967):

الفونيم عند دانيال جونز هو عبارة عن أسرة من الأصوات _ في لغة معينة _ متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة، في نفس السّياق الصّوتي الذي يقع فيه الآخر.[2]" والتّشابه عنده قد يكون أكوستيكياً وقد يكون عُضوياً."[3]

وبذلك نفهم من تعريف دانيال جونز:

أوّلاً: أنّ الفونيم لابدّ أن يكون عنواناً على مجموعة أصوات محكومة بالسّياق.

ثانياً: أنّ هذا السياق كتابي أكثر منه نطقي.

ثالثاً: أنّ الأصوات المفردة ليست فونيمات مادامت تنطق بصورة واحدة دائماً.[4]

"ويرى جونز أنّ أحد هذه الأعضاء عضو رئيسي وأنّ الأعضاء الأخرى أعضاء

1- المرجع السابق، ص: 41، 42.

2- يُنظر:أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص:177.

3- المرجع نفسه، ص:178.

4- يُنظر: عبد الصّبور شاهين، في علم اللّغة العام، ص: 132.

تابعة أو تنوّعات له[1]،وهذه النّظرة إلى الفونيم يمكن أن تسمّى نظرة عضويّة تركيبية، لأنّها تعترف بكلمة "عائلة الأصوات.

و_ مفهوم الفونيم عند ماريو باي mariopei (1901-1978):

يقول عن الفونيم:" إنّه يشتمل على مجموعة من الفُونات المتشابهة أو التنوّعات الصّوتية التي يتوقف استعمل كل منها أساساً على موقعه في الكلمة (أولا _ وسطاً _ آخر... الخ)وعلى الأصوات المجاورة له (قبل علة _ قبل ساكن _ بين علتين _ ملاصق لصوت مهموس...الخ) ومن الممكن أن يشتمل الفونيم على صوت واحد : "فون phone" أو صوت موضوعي فهو في كثير من الأحيان يشتمل على مجموعة من الفونات.[2]

1- كمال بشر، علم الأصوات، ص:485، 486.

2- ماريو باي، أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، ط8، 1998، ص:88.

3_ صورة الفونيم في التراث العربي:

الكثير من مباحث الدّرس الصَّوتي المعروفة حديثاً لها جذورها في التّراث اللّغوي القديم ومنه التّراث الصَّوتي العربي خاصَّة في مجال الفنولوجيا، ولعلَّ أهم تلك المباحث نظرية الفونيم الذي يُعتبر من أهمِّ الإنجازات التي حقّقها علم اللّغة الحديث ، ولو عدنا إلى تراثنا العربي لوجدنا بذور هذه النَّظرية عند علمائنا القدامى ، ذلك أنَّ نظرية الفونيم مهما كان تفسيرها قد انبثقت من ملاحظة كيفيات النّطق المختلفة ووظائف الأصوات المتنوِّعة ومن محاولة وضع ألفبائيات للُّغات المختلفة " ولذلك ردَّ بعضهم أولى التَّصوّرات النَّظرية للفونيم إلى الزمن الذي اهتدى فيه الإنسان إلى الكتابة الألفبائية..."[1]

وقد اهتمَّ علماؤنا العرب بلغتهم وأبدعوا في دراستها حيث اهتمُّوا بإعادة ترتيب الأصوات من الترتيب الأبجدي السَّامي إلى الترتيب الألفبائي العربي وصولاً إلى الترتيب الصَّوتي:

أ) الترتيب الأبجدي السَّامي:

" وعدد حروفه اثنان وعشرون حرفاً مجموعة في الكلمات الآتية (أبجد، هوَّز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)، وقد أخذ العرب هذه الأبجدية بالتّرتيب السّابق نفسه وزادوا عليه حروفاً تستخدم في العربية ولكنَّها ليست في الأبجدية السَّامية وهذه الحروف هي:

(الثاء، الخاء،الذال،الضاد،الظاء،الغين) وقد جمعت هذه الحروف في الأبجدية العربية بكلمتي (ثخذ،ضظغ) وأطلقوا عليها اسم الرَّوافد."[2]

ب) الترتيب الألفبائي:

يذهب بعض الباحثين إلى القول: أنَّ اختراع التّرتيب الألفبائي كان في زمن الحجّاج

1- أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللّغوي، ص:167.

2- يُنظر: ابن النَّديم، الفهريست، تح: رضا_تجدد بن علي المازندراتي، 1971م، ص:7. ويُنظر أيضا: أنيس فريحة، نظريات في اللّغة، دار الكتاب اللّبناني. بيروت، ط2، 1981، ص92.

بن يوسف الثقفي وذلك أنَّه لمّا كثر التَّصحيف في العراق حتَّى طال قراءة القرآن الكريم فزع الحجّاج في عهد الملك بن مروان إلى كُتَّابه وسألهم أن يضعوا علامات التَّمييز الحروف المتشابهة، وقد انبرى نصر بن عاصم اللَّيثي لهذه المهمَّة، وبعد التَّفكير و المراجعة تقرّر وضع النُّقط بشكلها الحالي مع إقرار مبدأ الإهمال و الإعجام، ولتحقيق ذلك رأى نصر بن عاصم ومن معه أنَّه لابدَّ من إعادة ترتيب حروف العربية ممَّا اضطرهم إلى مخالفة التّرتيب الأبجدي القديم واتباع التّرتيب الجديد :(أ، ب، ت، ث، ج، ح، ... هـ، و، ي)"[1]

ج) الترتيب الصَّوتي:

ويعزى هذا الترتيب للخليل بن أحمد الفراهيدي حيث وجد أنَّ الترتيب الألفبائي "لا يقوم على أساس علميٍّ واختار ترتيباً آخر يقوم على أساس مخارج الأصوات وبناءً عليه رتَّب معجمه ' العين ' فبدأ بأصول الحلق وجعلها أقساماً فجاء ترتيبه للأصوات اللّغوية في العربية على النَّحو الآتي: ع، ح، هـ، غ/ ق، ك/ ج، ش، ض/ ص، س، ز/ ط، د، ت/ ر، ل، ن/ ف، و، م/ أ، ي."[2]

ونجد هذه الفكرة أكثر وضوحاً عند تلميذه سيبويه حيث يقول في مؤلفه الكتاب: "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً ... وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هي فروع وأصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن الكريم والأشعار وهي: النون الخفيفة والهمزة بين بين والالف التي تم الإمالة شديدة والشِّين التي كالجيم والصَّاد التي كالزَّاي وألف التَّفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز فيقول هم الصَّلاة والزَّكاة والحياة وتكون اثنين وأربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من تُرتَضى عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشّعر وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، الجِّيم التي كالكاف

1- يُنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، ص:32. ويُنظر أيضا: إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية وخصائصها، ص233، 234.

2- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، دار هناء، القاهرة، ط 1، 2000م، ص103.

والجِّيم التي كالشِّين، والضاد الضَّعيفة والصَّاد التي كالشِّين والطاء التي التاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء، وهذه الحروف التي تتِمَّتها اثنين وأربعين جيّدُها ورديئُها أصلُها التِّسعة والعشرون لا تتبيَّن إلاَّ مشافهة."[1]

وبذلك نجد أنّ فكرة الفونيم قديمة أدركها العرب مثل غيرهم من الأمم من خلال ابتكارهم الألفبائية العربية ووضعهم رمزاً واحداً لكل فونيم مهما تعدَّدت صوره فالباء رمزٌ واحدٌ والتاء كذلك ...إلخ، فهو موجودٌ كفكرة لا كنظيرة، وممَّا يدلُّ على وعي العرب بالفونيم كذلك هو تعريف العلماء القدامى للصَّوت اللّغوي والتفريق بين الصَّوت والحرف، وفي مقدّمتهم ابن جنّي(ت392هـ).

1- تعريف الحرف:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب: " الحرف في الأصل هو الطّرف والجانب ...و حرف الرّأس شقّاه وحرفا السّفينة و الجبل جانبهما، و الجمع أحرف و حروف و حِرَفة.[2]"

ب-اصطلاحا:

عرج ابن جنّي لمفهوم الحرف أثناء حديثه عن كيفية حدوث الصّوت حين قال: " اعلم أنّ الصّوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلا متّصلا، حتّى يعْرض له في الحلق أو الفم أو الشّفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيُسمّى المقطع أينما عُرِض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها."[3]

نلاحظ ممّا سبق تفريق ابن جنّي بين الصّوت والحرف، فالصّوت هو خروج الهواء بانقطاع أو دونه أمّا الحرف فهو انتهاء مواصفات الصّوت مخرجا وصفة عند نقطة

1- سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبدالسلام محمد هارون، ج4، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 2، 1982،ص: 431، 432.

2- ابن منظور، لسان العرب، ج :3،ص: 120.

3- أبو الفتح عثمان بن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1993م،ط:2،ص:06

الانقطاع، وهو بذلك يقترب كثيرا من مفهوم الفونيم، كما نلمس هذا التّفريق كذلك عند الجاحظ (ت 255هـ،896م) إذ يقول: "الصّوت هو آلة اللّفظ والجوهر الذي يقوم به التّقطيع، وبه يوجد التّأليف، ولا تكون حركات اللّسان لفظا ولا كلاما موزونا إلاّ بالتّقطيع والتّأليف."[1]ومعنى قول الجاحظ هذا أنّ كلّ ما يخرج من الفم صوتا، فإن صدر وصار كلاما أصبح حرفا، سواء أكان منطوقا أم مكتوبا.

*** من خلال ما سبق من تعريفات نجد أنّ علماءنا القدامى فرّقوا بين الصّوت والحرف غير أنّ ابن جنّي كثيرا ما يقرن المصطلحين معا فنجده في كتابه "سرّ صناعة الإعراب يقول: "علم الأصوات وعلم الحروف، "كما نجده في موضع آخر يستعمل مصطلح الحرف ويقصد به الصّوت إذ يقول: "واعلم أنّ هذه الحروف التّسعة والعشرين قد تلحقها ستّة أحرف، تتفرّع عنها حتّى تكون خمسة وثلاثين حرفا، وهذه الستّة حسنة ...وقد تلحق بعد ذلك ثمانية أحرف، وهي حروف غير مستحسنة ...ولا يصحّ أمر هذه الحروف الأربعة عشر اللاحقة للتّسعة والعشرين حتّى كمّلتها ثلاثة وأربعين إلاّ بالسّمع والمشافهة."[2]

فابن جنّي يقرّ بكلامه هذا أنّ هذه الحروف الأربعة عشر أو الثلاثة والأربعين التي أضافها لا تكون إلاّ مشافهة؛ أي على مستوى النّطق وبالتالي ليس لها رموزا كتابية خاصة إلاّ أنّه يُسمّيها حروفا في حين هي أصوات، وهذا يقودنا إلى القول بأنّ الصّوت جزء من الحرف، فالحرف هو الفونيم كما يقول **رمضان عبد التّواب:** "وهذه التّفرقة بين الصّوت والحرف على هذا النّحو نتوصّل بها إلى جعل الحرف مساويا للاصطلاح الغربي الفونيم"[3] ولميتوقّفابنجنّيعندهذاالحدّبلعنىعنايةخاصةبمادةاللّغةالأساسيةفيكتابه "سرّ صناعة الإعراب " حيث تعرّض إلى أحوال الحروف والسّمات المميّزة للوحدات

1- الجاحظ، الحيوان، تح: عبدالسّلامهارون،ج:3،داراحياءالتّراث، 1969م،ص: 168.

2- أبو الفتح عثمان بن جنّي ،سرّ صناعة الإعراب، ص: 46.

3- رمضان عبدالتّواب، المدخل إلى علم اللّغة، ص: 84.

إضافة إلى حديثه في " الخصائص " باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني " [1]عن الدّلالة الصّوتية من خلال استبدال حرف مكان حرف آخر، والذي يؤدّي إلى تغيير المعنى.

وكخلاصة لاجتهادات ابن جنّي ندرك أنّه كان على وعي بفكرة الفونيم وإن لم يُصرّح بذلك، فما توصّل إليه من دراسات صوتية أكبر دليل على ذلك.

1- يُنظر: ابن جنّي، الخصائص، تح: محمد علي النّجار،ج.2، دار الكتب المصرية، د.ط، د.ت، ص:152.

4_ الخصائص الصّوتية للّغة العربية:

" استخدمت اللّغة العربية جهاز النّطق عند الإنسان خير استخدام وأعدله" [1] "وأوّل ما يبدو من صفات الحروف العربية توزّعها في أوسع مدرج صوتي عرفته اللّغات" [2] فقد جاءت أصوات هذه اللّغة موزّعة على مدارج النطق توزيعاً واسعاً شاملاً لكل نقاطه ومواضعه فمن بداية هذا الجهاز _ ونعني بذلك الحنجرة _ جاءت الهمزة والهاء، ومن نهايته _ وتتمثل في الشفتين_ جاءت الباء والميم ومن بين هاتين المدرجتين خرجت بقية الأصوات العربية مندرجة في شبه سلسلة متّصلة الحلقات، بحيث لا يقع ازدحام في منطقة أو مناطق ولا يحدث إهمال لبعضها.[3] فقد تجد في لغات أخرى غير العربية حروفاً أكثر عدداً ولكنها محصورة مخارجها في نطاق أضيق وفي مدرج أقصر، حيث تمتاز اللّغة العربية من جهة أخرى بتوزع أصوات حروفها توزّعاً عادلاً [4]، بحيث تجيء الأصوات المؤلّفة للكلمة منسجمة متناسقة خالية من الثّقل، ليس بينها تنافر يؤذي السّمع أو عدم انسجام يفقدها حلاوة النغم وحسن التّلقي والقبول، ولقد أدرك علماء العربية هذه الخاصة في لغتهم واستطاعوا بفكرهم الثاقب ونظرهم الدقيق أن يضعوا ما يشبه أن يكون قواعد صوتية لما ينبغي أن يكون عليه تأليف الكلمة من أصوات أخذاً بنظام توزيع أصوات لغتهم على مدارج النّطق ونظام التناسق والانسجام بين هذه الأصوات[5]. وذلك كتجنبهم جمع الزاي مع الظاء والسين والضاد والذال، والجيم مع القاف والظاء والطاء والعين والصّاد ...الخ.[6]

1- كمال بشر، دراسات في علم اللّغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، 1998، ص193.

2- محمد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1964، ص:250.

3- المرجع السابق، ص: 193، 194.

4- المرجع السّابق، ص: 250.

5- كمال بشر، دراسات في علم اللُّغة، ص: 196.

6- محمد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربية، ص: 250.

ومن الخصائص الصّوتية للكلمة العربية ثبات أصوات الحروف على مدى العصور والأجيال توفيراً للجهد ودَلالةً على الاتّصال بين أجيال الأمة العربية وتعبيراً عن الثّبات والخلود فيها لا يوجب تقلب الأيام وتبدل الحياة تغييره. لا شك في أن أصوات الحروف العربية كما نلفظها في لغتنا الفصحى وكما يُقرأ بها القرآن لم تتغير ولم تتبدل منذ أربعة عشر قرناً على الأقل ولم يعرف مثل هذا الثبات في حروف لغة من لغات العالم في مثل هذا اليقين والجزم .[1]

ومن الخصائص أيضاً المناسبة بين أصوات الحروف مفردة ومركّبة ومعانيها الموضوعة لها. فللحروف قيمة تعبيرية فهو مناسب لما وضع له من حدث، سواء كان الحرف واقعاً أول الكلمة أو وسطها أو آخرها. [2] وقد أقر بذلك ابن جني في كتابه الخصائص وضرب

في ذلك أمثلة عديدة. فهو يقول:" وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها. وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعاف ما نستشعره."[3] ، ففي قوله هذا إقرار بعلاقة الحرف بالمعنى الّذي وُضع له، ثم جاء ابن جنّي بعدّة أمثلة ومن ذلك قولهم: خضم، وقضم. فالخضم لأكل الرّطب، كالبطيخ والقثّاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصُّلب اليابس نحو قضِمتِ الدّابة شعيرها، ونحو ذلك... فاختاروا الخاء لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث. "[4]

ومن الخصائص الصّوتية للّغة العربية أيضاً أن مجموعة كبيرة من أصوات هذه اللّغة يقع بعضها من بعض موقع التقابل أو التناظر. فهناك نلمح أن بعض الأصوات تصدر

1- المرجع السابق، ص.: 251.

2- عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ط5، 2004، ص:224.

3- أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، ص:157.

4- المرجع نفسه، ص: 157_158.

من مخرج نطقي واحد ولكنها _ على الرغم من اشتراكها في هذه الدّائرة _ تختلف فيما بينها بسمة أو بأخرى تجعل كل واحد منها صوتاً مستقلاً، له دور في تركيب المقطع أو الكلمة

وفي دلالة هذه الكلمة ووظيفتها. ومن ذلك مثلاً الهمزة والهاء منطقتهما النطقية واحدة، ولكن يختص كل واحد من الصّوتين بملمح ينفرد به، يؤهله للاستقلال والكيان الخاص فلدينا مثلا "آب" و "هاب" افترقت الكلمتان وصار لكل منهما معنى مستقل بسبب وجود الهمزة _وهي انفجارية، أو صوت شديد في اصطلاحهم القديم _ في الكلمة الأولى، ووجود الهاء _وهي صوت احتكاكي أو رخو _ في الكلمة الثانية .[1]

1-يُنظر: كمال بشر، دراسات في علم اللّغة، ص: 194_195.

الفصل الأوّل:

شروط ضبط الفونيم

التّمهيد.

1. كيفية تحديد الفونيم.
2. الديافون و صلته بالفونيم.
3. الفاريفون وصلته بالفونيم.

الخلاصة.

تمهيد:

تعدّ الفونيمات في أيّ لغة من أهمّ الوسائل التي توضّح معاني الكلمات وتكشف دلالتها وتساعد على تفسيرها تفسيرا واضحا، إذ أن معنى كل كلمة يتغيّر بتغيّر الفونيم، لذلك كان حريّ بنا أن نعرف الخصائص التي تحدده وتكشف عن ماهيته وجوهره، وقد اجتهد العلماء في ذلك محدّدين شروط ضبط الفونيم، وسنرى ذلك في الفصل الآتي.

1_ كيفية تحديد الفونيم:

"إنّ أصوات أي لغة من اللّغات لا حدّ لها في واقع الأمر، و أنّ ما نسمّيه صوتا واحدا قد يتردّد هو نفسه في كلمة من الكلمات أكثر من مرّة، و لكنّه لا ينطق بنفس الصورة في كلّ مرّة "[1]، "وقد قدّم لنا **دانيال جونز** أسباب لأجل تحديد الفونيم و اختاره من بين الأصوات المشابهة له، فهو يرى أنّ الفونيم أسرة من الأصوات في لغة معيّنة متشابهة الخصائص، ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السّياق الصّوتي الذي يقع فيه الآخر و التّشابه عنده قد يكون أكوستيكيا وقد يكون عضويا."[2] أمّا سبب تسمية أحدها عضوا رئيسيا فقد يكون :

- كثرة ورود هذا العضو في الاستعمال اللّغوي بصورة تفوق بقيّة الأعضاء.
- أو لأنّه العضو الذي يستعمل وحده منعزلا عن السّياق الفعلي.
- أو لأنّه في الموقع الوسط بين بقيّة الأعضاء"[3].

"وقد قدّم الدّكتور تمّام حسّان في كتابه اللّغة العربية معناها ومبناها طرائق لأجل التّمييز بين الأصوات والفونيمات."[4]

1- محمود السّعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر، بيروت، د. ط، د.ت، ص:194.

2- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص: 177-177.

3- كمال بشر، علم الأصوات، ص: 485-486.

4- عبد العزيز حلْيلي، اللّسانيات العامة واللّسانيات العربية، ط:1، الدّار البيضاء، د.ب، 1991م، ص: 77.

ثمّ شرح كيف يقوم الباحث بتكوين النّظام الصّوتي للّغة وشرح طبيعة تكوين النّظام الصّوتي للّغة العربية الفصحى"[1].

" ويعتبر هذا البحث موضوع الفنولوجيا حيث ينحصر هنا في وضع لائحة فونيمات اللّغة المدروسة و تحديد العناصر المميّزة لكلّ فونيم منها على حدة و ترتيبها حسب هذه العناصر واستخلاص القواعد التي تنظم تركيبها وترتيبها في الكلمة و الجمل، فالبحث في الفونيمات بحث في اللّغة لا في الكلام، وأوّل عمل يجب القيام به هو تفكيك الكلمات إلى أصغر وحداتها المكوّنة لها أيّ الأصوات[2]"،" ثمّ وصف الأصوات التي تمّت ملاحظتها وحصرها في عدد معيّن من الأصوات لكلّ منها وصفه العضوي والسّمعي، ثمّ محاولة استقراء القيّم الخلافية التي تفرّق بين كل صوت منها وبين الصّوت الآخر عن طريق المقابلات بين الأصوات من حيث المخارج والصفات والوظائف وهذه المقابلات هي جهات الاختلاف بين كل صوت وكل صوت آخر إمّا من حيث المخرج فقط أو الصفة فقط أو هما معا، ولكن التّشابه أو التّخالف في المخرج أو الصفة أو فيهما معا لا يصلح وحده أساسا لتحديد الحروف فقد يتّفق الصّوتان في كل شيء حتّى يخفى على غير ذي الخبرة، حين يسمعهما إنّ يفرّق بينهما و ذلك كاتّفاق صوتي الميم و النوّن مخرجا و صفة في كلمتي "ينفع" " وهم فيها " و كذلك في أكرم به و ينبح و من هنا يصبح من الضّروري أن تدخل القيمة الخلافية الوظيفية، في الطريقة التي تحدّد بها حروف النّظام الصّوتي بحسب الوظيفة وتستخدم هذه القيمة الخلافية في التّقسيم بواسطة النّظر في الوظيفة التي تتجّلى في إمكان التّداخل في الموقع و التّخارج فيه و من أهمّ القيّم الخلافية في أيّ نظام لغويّ اختلاف الوظيفة التي تؤدّيها كل وحدة من وحدات النّظام و هي التي نطلق عليها "المعنى الوظيفي"، وفي حالة النّظام الصّوتي العربي بالذات تقوم الوظيفة أو المعنى الوظيفي أوّلا و قبل كلّ شيء بالتّفريق بين طائفتين متباينتين من الأصوات إحداهما الصّحاح و الأخرى العلل

1- يُنظر: تمّام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناها، الدّار البيضاء_المغرب، د.ط،1994، ص:67.

2- عبد العزيز حليلي، اللّسانيات العامّة واللّسانيات العربية، ص: 75_76.

ومعنى ذلك أنّ للصّحاح وظيفة تختلف عن وظيفة العلل في نظام اللّغة العربية، ومثال ذلك أنّ الحروف الصّحيحة تكون بداية للمقطع في اللّغة العربية ولا تكون العلل كذلك ...إلخ"[1]

"وللعلماء العرب القدامى فضل وضع الهجائية الصّوتية لأصوات اللّغة العربية وقد اختلفوا بادئ أمرهم، ثمّ استقرّت عند الشارقة والمغربة _وبشكل عام _حين انزوى البحث الصّوتي وصار خاصا بالمقرئين"[2]

"وقد اتّجه العلماء العرب عند النّظر في استنباط الحروف من الأصوات اتّجاها عكس ما يراه المحدّثون، فاتّجاه البحث الحديث إنّما يكون من الأصوات إلى الحرف، إذ ينظّم ما لديه من أصوات جرت ملاحظتها و وصفها فيُبوّبها إلى مجموعات تُسمّى كل مجموعة منها حرفا، وذلك كأن يجمع الأصوات المختلفة الدّالة على النّون مع اختلاف المخارج بين هذه الأصوات فيجعلها تحت عنوان واحد، هو حرف النّون و لكن العرب القدامى حين تصدّوا لتحليل الأصوات العربية كان بين أيديهم نظام صوتي كامل معروف و مشهور للّغة العربية، وكانت الحروف التي يشتمل عليها هذا النّظام قد جرى تطويعها للكتابة منذ زمن طويل لكلّ حرف منها رمز كتابي يدلّ على حرف في عمومه دون النّظر إلى ما تندرج تحته من أصوات، فارتضوا هذا النّظام الصّوتي المشهور، واتّخذوه نقطة ابتداء في دراستهم للأصوات العربية."[3]

وقد حصر العلماء القدامى أصوات اللّغة العربية، وحدّدوا مخارجها وصفاتها، وقد قدّم سيبويه جهدا قيّما صار أساسا ومرتكزا للدّارسين العرب من بعده، وقد تفادى أخطاء أستاذه الخليل بن أحمد الفراهيدي في تحديد بعض الأصوات كما أنّ سيبويه قدّم في الكتاب جهدا منظّما، وتعريفات دقيقة لكلّ واحدة من الصّفات، في حين أنّ الخليل قدّم مجموعة ملاحظات متناثرة يخصُّ فيها صفات الأصوات، ولم يقدم الذين جاؤوا بعد سيبويه إضافات ذات أهميّة

1- يُراجع: تمّام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص: 67-73.

2- خليل إبراهيم العطيّة، في البحث الصّوتي عند العرب، دار الجاحظ للنّشر، بغداد، د. ط، 1983، ص:25.

3- يُنظر: المرجع السّابق، ص: 50_51.

كبيرة، فالمبرّد مثلا خالفه في عدد أصوات العربية حين رأى أنّها ثمانية وعشرون، بينما قال سيبويه إنّها تسعة وعشرون، ومدارُ الخلاف هنا حول الهمزة...[1]

ورغم الجهود القيّمة التي قدّمها الباحثون والعلماء المحدثون منهم والقدامى في ضبط الحروف العربية وحصرها إلاّ أنّنا نشير هنا إلى أن اللّغة العربية لا تحتاج كلّ هذا الضّبط ذلك لأنّها محفوظة بفضل اللّه عزّ وجلّ، فهي لغة القرءان الكريم أوّلا وقبل كلّ شيء

ثمّ لأن اللّغة العربية لها مجموعة من الخواص التي جعلتها صالحة في كلّ مكان وزمان.

فللحروف العربية خواص لم تجتمع في غيرها من حروف اللّغات الأخرى و إن وجد بعضها فلا يوجد الآخر[2]، فالألفبائية العربية خصّصت حرفا واحدا للصّوت الواحد، و صوتا واحدا للحرف الواحد و هم بذلك يتفوّقون على باقي الأمم و الشّعوب[3]، في حين نجد في بعض اللّغات الصّوت الواحد يدوّن بأكثر من رمز، ففي تدوين اللّغة الانجليزية نجد في كلمتي photo ، for صوتا معينا تبدأ به كلتا الكلمتين ومع هذا فتدوين هذا الصّوت يختلف في كلتا الكلمتين[4]، كذلك لكلّ حرف لفظي بسيط له حرف كتابي بسيط بخلاف اللّغاتٍ [الإفرنجية] مثلا فإنّ الشّين تكتب فيها CH أو SCH[5].

إنّ مسمّيات الحروف العربية دائما في صدور أسمائها، فصدر كلمة باء (ب) وصدر كلمة جيم (ج) وهكذا... بخلاف اللغات الإفرنجية مثلا، فإن مسمياتها تارة تكون في صدورها ك: (سي)، (دي)، (C)، (D) وتارة في أعجازها كإف، وإل (F)، (L)

1- يُراجع: عادل محلو، علم الأصوات بين القُدامى والمحدثين، مطبعة مزوار، الوادي_الجزائر، ط.1، 2009، ص: 47_67.

2- حفنى ناصف، حياة اللّغة العربية، مكتبة الثقافة الدّينية، د.ب، ط.1، 2002، ص :38.

3- يُنظر: عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية (الفونولوجيا)، ص: 136.

4- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء للطّباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، د.ت، ص: 30.

5- حفنى ناصف، حياة اللّغة العربية، ص :38.

وتارة تكون عين الاسم كإكس وتارة تكون خارجة عن الاسم بالمرّة كآش أو إيتش. [1] كذلك من خصائص الحروف العربية الانسجام بين صوت و رسم الحرف، وقد يكون الانسجام من درجة عالية وقد يكون أقلّ من ذلك بقدر اجتهاد الرّجل العربي للكشف عن أصواته بصور كتابية شفافة تعكس ما يريد، والانسجام عند العربي كان بين الصوت حيث يحدث(أي مكانه حدوثه) وبين رمزه الذي يصف ذلك، نقلا له من صورة تطبيقية إلى أخرى مرسومة توافقها في الهيئة، من هنا نجد أغلب عناصر الانسجام عندنا تتعلق بتجسيد الجهاز النطقيّ بصورة ما، حين كانت أعضاءه تؤدي صوتا ما [2]، "ولتوضيح ذلك نضرب مثالا بالباء ومكان حدوثها الشّفتين ويتمّ ذلك باتّصال الشّفة العليا بالسّفلى ثمّ نزول الشّفة السّفلى بسرعة وانفجار الصّوت، لذلك فالرّسم كان بالفعل يجسد حال الشفة و النّقطة هي حدوث نزول الشّفة السّفلى فكانت كذلك تحت الرّسم ب[3] ، ومثاله كذلك حرف الطاء الذي يكون حدوثه بارتفاع مؤخّر اللّسان وتقعير لوسطه، ورفع لطرفه وبذلك ندرك اتّفاق هذا مع رسم الصّوت ؛ أي أنّ هيئة الحدث الصّوتي يُجسّدها الرّسم: "ط" حيث:

(ص) = شكل اللّسان عند الإطباق + (ا) = ارتفاع طرفه ليُكوّن مخرجا بسدّ مجرى الهواء. [4]

من خلال المثالين السّابقين تظهر لنا جليّا العلاقة بين صوت ورمز الفونيم في اللّغة العربية.

وليس هذا فحسب بل للحروف العربية معاني في نفسها، وقد اعتنى العلماء العرب

1- المرجع السّابق، ص: 38.

2- هناء سعداني، الحروف العربية، دراسة في تطوّرها والعلاقة بين الّصوت والرّسم والمعنى، أطروحة دكتوراه، جامعة حمّة لخضر الوادي،2012_2013، ص: 102.

3- يُنظر: المرجع نفسه، ص :111.

4- يُنظر: المرجع نفسه، ص: 174.

بهذه الفكرة خاصة ابن جنّي في كتابه الخصائص وذلك في باب" إمساس الألفاظ أشباه المعاني"[1] كما أشرنا إلى ذلك سابقا في مثال "قضم وخضم".

*** من خلال ما سبق نتبيّن قوّة حروف لغتنا العربية وذلك راجع إلى العلاقة الوطيدة بين صوت ورسم ومعنى الحرف ويمكن أن نوضّح ذلك في الشّكل الآتي:

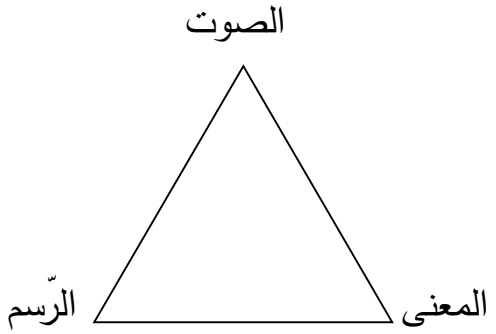

إذ شكّلت هذه الثّلاثيّة كلاّ متكاملا ومتماسكا وهذا ما جعل اللّغة العربية ثابتة ومحفوظة خلافا للّغات الأخرى كاللاتينية مثلا.

---

1. يُنظر: ابن جنّي، الخصائص، ص :152.

2_ الديافون وصلته بالفونيم:

هناك بعض الأصوات التي قد تبدو فونيمات مستقلّة بذاتها، إلاّ أنها تظهر في السّياق الصّوتي نفسه دون تغيير في المعنى لذلك لا يُمكن اعتبارها فونيمات لأنّ الفونيم _كما قد ذكرنا _ تغييره يؤدّي إلى تغيير في المعنى، وقد ذكر تروبسكوي هذه الفكرة في قاعدته الأولى حيث يقول:

القاعدة الأولى:" إذا ظهر صوتان من لغة واحدة في نفس النّواحي الصّوتية المحيطة وأمكن أن يستبدل أحدهما بالآخر وينوب عنه من غير أن يظهر هناك اختلاف في الدّلالة العقلية للّفظ، لم يكن هذان الصّوتان إلاّ وجوها مُميلة متغايرة اختيارية لوحدة صوتية واحدة."[1]

" فمثلا حرف r في اللغة الفرنسية الحديثة فإن بعض الناطقين الفرنسيين الفصحاء ينطقون بها مثل الراء العربية (وهو النطق الأصلي الفرنسي القديم) وأكثرهم مثل الغين العربية فهما إذا صوتان مختلفان وحرف واحد في الفرنسية حالي، إذ لا يتغيّر المعنى بوقوع أحدهم مكان الآخر وكل وجه منهما يُسمّى عند الأوروبيين variant و allophone عند الأمريكيين."[2]

" ومثاله في اللغة العربية تلفظ العرب بصوت "ج" بأشكال صوتية مختلفة حسب البيئة الجغرافية فيلفظ جمل * gمل (الجيم القاهرية)، * دجمل ، * **ت**جمل
فتغيّر نطق هذا الفونيم لا يغيّر في معنى الكلمة ...فالصّور الصّوتية هي صور لفونيم واحد مادام التّغيير لم يترّتب عليه اختلاف في المعنى العقلي للكلمة."[3]

وتنطبق هذه القاعدة مع ما جاء به **دانيال جونز** إلاّ أنّه أطلق عليها مصطلح الدّيافون

1- تروبسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، ت: قنيني عبد القادر، دار قرطبة للطباعة والنّشر، الدار البيضاء، د.ت، ط:1، ص :51.

2- محمّد بودية، مفهوم الوظيفة في اللّسانيات الغربية، المؤتمر الدّولي الخامس للّغة العربية، ص: 162.

3- عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية، ص: 66.

فقد أضاف دانيال جونز إلى مصطلحي (الفونيم) و (الفون) مصطلحا ثالثا وهو الصّوت المزدوج Phone/Diaphone؛ فالديافون أو الصّوت المزدوج عند جونز هو: "عائلة من الأصوات يمكنها أن تتبادل الأماكن دون تعديل معنى الكلمة."[1] وقد عرّفه في كتابه" الفونيم" بأنّه:" اسم لعائلة من الأصوات تتكوّن من الصّوت الذي ينطق به المتكلّم في مجموعة معيّنة من الكلمات مع الأصوات الأخرى المختلفة التي يستعملها متكلمون آخرون في نفس اللّغة."[2]

فنجد دانيال جونز أطلق مصطلح ديافون على تلك المجموعة أو العائلة من الأصوات_ كما سمّاها_ في لغة معيّنة هذه العائلة تتكوّن من الصّوت الذي ينطق به المتكلّم بالإضافة إلى الأصوات الأخرى المختلفة عنه، والتي ينطق بها المتكلّمون آخرون بشرط أن تكون في اللّغة نفسها.

وقد أدرج دانيال جونز تحت الديافون نوعان من الأصوات:

1-الصّوت الذي يستعمله جماعة من المتكلّمين بالإضافة للأصوات الأخرى التي تحل محلّه في نطق متكلّمين آخرون، وكلّ صورة من صور النّطق تسمّى عضوا لنفس الديافون.*

2-الصّوت الذي يستعمله شخص ما في أسلوب معيّن مع الصّوت (أو الأصوات الأخرى) الذي يحل محلّه في نطق نفس المتكلّم ولكن في أسلوب آخر.

" كما أدخل جونز في الديافون تنوّعات الصّوت التي تسمع من شخص واحد يختلط نطقه بتأثيرات من اللّهجات الأخرى، فإذا نطق مثل هذا الشّخص صوتا بكيفيتين مختلفتين في مرّتين، فالصّوتان يوضعان في ديافون."[3]

1- المرجع السّابق، ص: 73.

2- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص: 258 نقلا عن JonesDaniel.ThePhonème ,its Nature and Use 1962, p 196

* كان حقّ جونز أن يطلق على كل ّ أسرة من الأصوات اللّهجية لصوت ما، اسم ديافونيم diaphonem ويطلق اسم ديافون diaphone على العضو في نفس الأسرة،

3- يُراجع: أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص: 258.

إذن فالديافون عنده يقع تحته ذلك الصّوت المختلف مع صوت أو أصوات أخرى وذلك بسبب اختلاف الجماعات المتكلّمة، أو باختلاف الأساليب لدى شخص واحد متكلّم، أو أن يتأثّر ذلك الشّخص بلهجة أخرى.

ويمكن التّمثيل للنّوع الأوّل من اللّغة العربية بنطق الجيم الفصحى بالتّركيب بين احتكاكية وانفجارية.[1] " ومثال النّوع الثاني ما لوحظ من أنّ أسلوب النّطق الذي يتكلّم به الشّخص له دخل في تشكيل الصّوت، فالأسلوب الحواري العادي والأسلوب المتسرّع، وأسلوب القراءة الجهرية أمام جمهور كبير يحدث خلافا في نّطق بعض الأصوات حتّى إنّ بعضهم في نطقه السّريع ينتج أصواتا لا وجود لها في الأسلوب العادي هذه الأصوات مع ما يخالفها في الأسلوب العادي داخلة في ديافونات."[2]

" وهذه التّقسيمات التي وضعها جونز للديافون تتطابق مع ما جاء به **ترنكا Tranka** فقد أطلق التّنوّعات الأسلوبية Stylistic variants و التّنوعات الحرّة Free variants على :

أ- الأصوات التي تميّز أسلوبا لغويّا معيّنا.

ب- الأصوات التي تميّز مجموعة معيّنة من المتكلّمين.

ج-الأصوات التي تميّز عادة كلامية للأفراد المتكلّمين[3].

إلاّ أنّ **ترنكا** لم يطلق عليها مصطلح ديافون بل سمّاها التّنوعات الأسلوبية والتّنوعات الحرّة.

وعرّف **ماريوباي** الديافون بأنّه:

أ- تنوّعات الفونيم التي تقع في كلّ المنطوقات لكلّ المتكلّمين بأيّ لغة.

ب- فونيم لهجة يقابل في الاستعمال فونيم لهجة أخرى وإن اختلفت عنه صوتيا."[4]

1- المرجع السّابق، ص :260.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، ص :261.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالملاحظ أنّ ماريوباي قد أطلق مصطلح الديافون على جميع تنوّعات الفونيم بما في ذلك التّنوعات الأسلوبية والتّنوعات الحرّة والتّنوعات الموقعية، ثمّ إنّ ماريوباي لم يشترط في الديافون أن يكون في اللّغة نفسها كما قد اشترط دانيال جونز.أمّا بالنّسبة للنّقطة الثّانية فقد اشترط ماريوباي أن يكون الاختلاف بين فونيمين اثنين في لهجتين مختلفتين.

أمّا **بالمر Palmer** فقد قصر مصطلح **Diaphone** على الأصوات القابلة للتّبادل تبعا للهجة ما."[1]

***نستنتج إذن من كلّ ما قد قيل في الديافون أنّ الآراء السّابقة تشترك في نقطة ألا وهي: اختلاف نطق بعض الأصوات باختلاف اللّهجات أو باختلاف الجماعات المتكّلمة وهذا شائع في اللّغة العربية بين لهجاتها ومثال ذلك ما ذكرناه سابقا حول الجيم الفصحى.

و الأمر نفسه في اللّهجة الجزائرية في مثل قولنا: قال (في العاصمة) وآل(في تلمسان) و كال (في جيجل)، فاختلاف حروف أوائل هذه الكلمات لا يؤدّي إلى تغيير الدّلالة العقلية لها : فآل = قال = كال؛ أي تحمل دلالة واحدة، لكن ما يجب الإشارة إليه هنا أنّ عدم اختلاف الدلالة العقلية كائن على مستوى اللّغة العامية؛ إذ مردّ ذلك إلى التّنوع اللّهجي، لكن على مستوى اللّغة الفصحى ،فالأمر يختلف فآل غير كال، و كال غير آل وقال (قال≠كال ≠آل)، فقال بمعنى التّلفظ، وكال من الكيل والقياس، و آل بمعنى رجع وصار.

"وقد كان **جونز** حريصا على التّفريق بين الديافون و الفونيم أو بين أعضاء الديافون وأعضاء الفونيم، فالفونيم قائم على أساس نطق شخص فرد يتكلّم بأسلوب واحد ثابت معيّن وتنوّعاته مشروطة بطبيعة الأصوات المحيطة في التّتابع، و بدرجة النّبر و أحيانا بالتّنغيم والطّول، وهدا بخلاف الديافون كما سبق أن بيّنا، لهذا نجده يقول أنّ بعض المهتمّين بطبيعة الفونيم حاولوا أن يجدوا مكانا للديافونات (التي يسمّونها تنوّعات حرّة) داخل تعريف الفونيم

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص :261.

ولا يمكن لمحاولة هذه أن تنجح ...وقد يرد على البال أن بعض التعريفات العقلية للفونيم صيغت خصّيصا لتتضمّن التّنوعات الديافونية، ويؤيّد جونز رأيه في استحالة إدماج مفهوم الديافون في تعريف الفونيم، يظهر في إمكانية إلحاق صوت واحد بديافونين وهذا أمر شائع، في حين أنّ إمكانية إلحاق صوت واحد بفونيمين أو أكثر أمر نادر نسبيا."[1]

***ولتوضيح ذلك نأتي بالمثال الذي ذكرناه سابقا وهو نطق القاف في اللّهجات الجزائرية في مثال" قال "، فهي تنطق بين كال وآل ...فنقول أنّ كل من الكاف والألف ديافونات تنتمي إلى صوت واحد وهو القاف وهذا على مستوى اللّغة العاميّة، في حين لو ذهبنا إلى اللّغة الفصحى لوجدنا أنّ لكل من كال وآل معنًى يختلف عن الآخر كما ذكرنا سابقا، لذلك يستحيل أن نُلحق "الكاف" و" الألف " إلى صوت واحد، وذلك لأنّهما فونيمان مختلفان، ومن هنا يظهر الفرق بين الدّيافون والفونيم.

1- يُنظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص: 261-262

3-الفاريفون وصلته بالفونيم:

يرى دانيال جونز أنّ من القضايا المسلّمة أنّ الشخص الواحد لا يمكن أن ينطق كلمة معيّنة مرّتين بصورة مُطابقة في نفس السّياق، فكل منطوق من منطوقاته يختلف عن الآخر في بعض التّفصيلات الدّقيقة التي يصعب على الأذن أو على الآلة التقاطها.

وقد يحدث مع بعض المتكلمين أن تكون تنوّعاتهم اللاإرادية لصوت ما قابلة للإدراك للملاحظ الخارجي، هذه التنوّعات تأتي عادة تحت ثلاثة حالات:

1- حين تكون اللّغة من ذلك النّوع الذي يحتوي على عدد أصغر نسبيا من الفونيمات وبالتّالي لا تكون الدّقة المطلوبة في نطق بعض الأصوات الضّرورية.

2-حينما يتكلّم شخص بخليط لهجي.

3-حينما يُحدث شخص تغيّرات لغويّة في نطقه.

وللدّلالة على مجموعة الأصوات التي تُردّ تحت النّوع الأوّل، و ضع دانيال جونز مصطلح الفاريفون variphone، فالفاريفون إذن " أصوات غير مستقرّة " unstable أصوات قابلة للتّنوع مستقلّة عن سياقها الصّوتي"[1]،

فالمتكلّم الواحد يستعمل كل هذه التنوعات من غير وعي أن نطقه يتنوع، كل شكل من أشكال التّنوع يسمّى عضوا Member في الفاريفون.

ومجموع هذه الأعضاء تُسمّى فاريفون، وللفاريفونات مكان في نظرية الفونيم عند دانيال جونز، فأعضاء كل فاريفون تُعدُّ كما لو كانت صوتا واحدا، ربّما شكّل بنفسه فونيما وربّما كان عضوا في فونيم. [2]

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص: 262-263.

2- المرجع نفسه، ص: 264.

واضح إذن أنّ الفاريفون غير الديافون، وأنّه يختلف عنه في أنّه يقع في كلام الشّخص الواحد في الأسلوب الواحد دون تأثّر بلهجة خارجية وبدون وعي أو قصد، وبغير اشتراط بيئة صوتية معيّنة، أمّا الديافون فكما سبق أن ذكرنا، يتحقق إذا تعدّد الشّخص أو تعدّد الأسلوب، أو تعدّد نطق الشّخص تحت تأثير اللّهجة."[1]

***إنّ فكرة الفاريفون موجودة في جميع اللّغات، وليست خاصّة بلغة معيّنة، ذلك أنّ الجهاز الصّوتي متشابه لدى جميع النّاس، فطبيعة الجهاز الصّوتي والعوامل المؤثّرة فيه كالرطوبة مثلا تقتضي حدوث اختلاف في الأصوات حتّى وإن كان الشّخص والأسلوب والسّياق واحد، ومثال ذلك عندما يقول شخص ما:" كتب زيد الدّرس " ثم يُعيد هذه الجملة بالأسلوب والسّياق نفسه، فسيحدث بعض الاختلاف في نطق الأصوات وإن كان بغير قصد.

1- المرجع السابق، ص: 264

الخلاصة:

و كخلاصة لما ذكرناه آنفا عن المادة الخام لأيّ لغة وهي الفونيمات، التي تجعل منها لغة واسعة بمفرداتها و جملها و تراكيبها، و التي استحوذت على اهتمام العلماء الذين انكبُّوا على دراستها و تحديدها و دراسة كلّ ما يتعلّق بها من مصطلحات كالديافون و الفاريفون، نلاحظ الاختلاف الواضح بين هذه المُسمّيات الثلاثة، فالفونيم وحدة لغويّة تتعدّد صورها النّطقية، فقد تكون على شكل ديافونات أو فاريفونات، والذي يحدّدها السّياق الصّوتي الذي يرد فيه الفونيم أو الحالة النّفسية أو الاجتماعية للنّاطق باللّغة، فالفونيم إذا ليس مستقلّ بذاته وإنّما يتفاعل مع فونيمات أخرى لتشكيل الكلام و بذلك هو عنصر مؤثّر و متأثّر إمّا بسبب السّياق الصّوتي أو الموقعية التي سيأتي الحديث عنها في الفصل الموالي.

الفصل الثّانـي:

موقعية الفونيم وخصائصها

_التّمهيد.

1_ موقعية الفونيم وخاصية الإبدال والقلب.

أ- موقعية الفونيم.

ب- خاصية الإبدال.

ج- حركة الفونيم في اللَّفظ وأثره على الكلمة (القلب).

2_ الفونيم وتنوّعاته الموقعية.

3_ما لا يتناسب مع خصائص اللغة العربيّة من الدّراسات الغربيّة للفونيم.

_الخلاصة.

تمهيد:

لقد ارتبط الفونيم بالجانب العضوي والسَّمعي والوظيفي ممَّا جعله عنصراً مرناً يتفاعل مع الفونيمات الأخرى لإنتاج الكلمات وهذا التّفاعل يفرض قوانين صوتية معيَّنة تؤثر فيه مُنتجاً بذلك تنوّعات صوتية.

1) موقعية الفونيم وخاصية الإبدال والقلب:

أ- موقعية الفونيم:

وتندرج تحته القاعدة الثانية لتروبسكوي إذْ يقول: " فإن ظهر صوتان في نفس الحيِّز الفونطيقي على وجه الاِطِّراد ولم تجز اِستبدال أحد الصَّوتين بالآخر من غير أن يخلّ ذلك بدلالة الألفاظ، ومن غير أن يصير اللَّفظ مهملاً غير مستعملاً، كان هذان الصوتان إذن محققين لوحدتين صوتيتين مختلفتين."[1]

"ونجد هذه الحالة مثلاً في بعض أصوات اللّغة الألمانية كالحرفين:i و a فلو اُستبدل الحرف i بالحرف a من اللَّفظ lippe لتغيرت دلالة اللَّفظ المنقلب lappe بينما لو سلكنا طريق قلب اللَّفظ fisch (حوت) لوجدنا هذا التقليب fasch مهملاً، ودرجة اللَّفظ المهمل أو غير المستعمل تجوز أن تكون متباينة أشدّ التّباين وبسبب إبدال الحرف f والمركَّب pf من أوَّل الكلمة في اللّغة الألمانية، صارت الألفاظ التي وقع فيها القلب بوجه عام غير مهملة ولا مجهولة الدَّلالة، إلاَّ بإبدال حرفي العلَّة i و a في جزء كبير من ألمانيا ... وعلى ذلك فإنَّ كل شخص ألماني مثقَّف عندما يستبدل الحرف المضاعف pf في أوَّل الكلمة بالحرف f فإنَّه لا يتحدَّث لغة أدبية صحيحة بل خليطاً من اللّغة الأدبية بلهجته الأصلية الأم."[2]

1- تروبتسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات (الفنولوجيا)، ص:54.

2- المرجع نفسه، ص:54.

" وكتلفّظ العرب بكلمتي /سار/ و /صار/:

- س/ ار
- ص/ ار

فالسِّين والصَّاد أسنانيتان لثويتان صافيريتان ولكن الأولى (س) مرقّقة والثانية (ص) مطبقة ومن هنا تنشأ قيمة خلافية تفصل بين صوت (س) عن صوت (ص) ... لذلك نقول أنَّ السِّين فونيم مختلف عن الصَّاد الذي نعتبره فونيماً آخر."[1]

" فإذا لم يتبيَّن المستمع الفروق القائمة بين مطالع المفردات التالية (بار، غار، فار، عار، جار، سار، حار...إلخ) أو بين الأصوات التي تتوسَّط المفردات التّالية (عبر، عثر، عفر، عصر، عسر...إلخ) أو بين أصوات أواخر المفردات التّالية (خاب، خار، خال، خام، خاص...إلخ) لما تفهّم المعنى الذي قصده المتكلّم...

ومن المعلوم أنَّ التَّخالف الصوتي هو وظيفيّ وهو الذي يُميِّز المفردات التي تشترك بسماتها كلِّها، وتَنْشُز بِسِمة واحدة كحدٍ أدنى عن غيرها، ويُشكِّل هذا النّشوز خاصية فونيمية تمتاز بها الوحدة الصَّوتية الدّنيا وتتجلَّى هويَّتها بعملية الإستبدال commutation مثلاً: (دار≠ جار ≠ طار ≠ صار)"[2]

وهذا ما ذهب إليه دانيال جونز في حديثه عن الفونيم وأعضاءه. فهو يرى أنّ الفونيمات هي التي تتبادل، فيُؤدي هذا التّبادل إلى تغيير معنى الكلمة، ولكن أفرادها أو أعضاءهالاتتبادل ومن هنا كان الحكم بأن كلاً من الدّال والرّاء في "داب وراب" واللاَّم والميم في "قال وقام" كل منها فونيم مستقل، إذْ نرى تبادلاً بينهما.[3]

1- عصام نور الدِّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية (الفنولوجيا)، ص:67.

2- المرجع نفسه، ص:69.

3- يُنظر: المرجع نفسه، ص:73 ويُنظر أيضاً: كمال بشر، علم الأصوات، ص: 168.

فوظيفة الفونيم على هدا الرّأي هي التّمييز بين الكلمات ومنح هذه الكلمات قيماً لغوية مختلفة، صرفية أو نحوية أو دلالية. نقول "لكَ" بفتح الكاف و "لكِ" بكسرها، فحصل تمييز صرفي نحوي ويتبعها تمييز دلالي.[1]

والتّمييز بين الكلمات قد يكون بصور مختلفة منها:

– استبدال فونيم بفونيم آخر، كما في الأمثلة السَّابقة كلها، وقد يكون بزيادة فونيم أو نقصه كما في نحو: شدَّدَ وشدَّ فهناك تمييز صرفي و دلالي بين الكلمتين بسبب وجود فونيم الدال (الأخيرة) في الكلمة الأولى وعدم وجودها في الثانية.[2]

ومما تتميّز به كلمة عن كلمة الكميّة كما في "قال" و "قلّ" ففي المثال الأوّل لِينٌ أطولُ من الفتحة التي في الثانية، وفي الثاني تشديد أطول من الإفراد الذي في الأوّل، وهذا فرق في الكلميه.[3]

– ويذهب جاكبسون إلى أبعد من ذلك. فهو يرى أنَّ التَّمييز الوظيفي لا يحدث باستبدال فونيم بفونيم آخر بل يحدث بسبب السِّمات التَّمييزية الخاصَّة وفصّلها كالآتي:

* **أنواع الملامح التَّمييزيّة:** تنقسم الملامح التَّمييزية إلى فئتين هما:

1) **العروضية:** ولا ينكشف الملمح العروضي إلاَّ من خلال تلك الفونيمات التي تشكّل ذروة المقطع ويمكن تحديدها فقط بالإحالة إلى جلاء المقطع أو سلسلة المقطع.

تضاد أنماط الملامح العروضية الثلاثة التي نسمِّيها متابعين سويت، **بالنبرة، القوة، والكميّة** خصائص ثلاثاً للإحساس هي: نبرة الصَّوة وارتفاع الصَّوة والاستمرار الذاتي وأبعاد التَّردد والشدَّة والزّمان هي معادلاتها الطبيعية الأقرب.

1- عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية، ص: 73.

2- كمال بشر، علم الأصوات، ص:486.

3- تمّام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص:128.

2)**الملامـح المتأصِّـلة:** ينكشـف الملمـح المتأصِّـل مـن خـلال الفونيمـات بصـرف النَّظـر عن دورها في جلاء المقطع، ولا يُشير تعريف مثل هذا الملمح إلى جلاء المقطع أو سلسلة المقطع.[1]

" الملامـح النَّميزيـة المتأصِّـلة التـي اُكتشـفت حتَّـى الآن فـي لغـات العـالم والتـي تمكـن بالإضـافة إلـى الملامـح العروضـيّة وراء خزينهـا المعجمـي والصَّـرفي، تقـارب خمسـة عشـرة مقابلة تُجري من خلالها كل لغة انتقائها الخاص، وتنقسم جميع الملامح المتأصِّلة إلى فئتين يمكن تسميتها ب 'ملامـح الرَّنين' و 'ملامـح النَّغميـة' وتُماثل الأولـى ملامـح القوَّة العروضـية والكميَّة والثانية ملامح النَّبرة العروضية."[2]

أ) ملامح الرَّنين:

1- **المصوِّتة /غير المصوِّتة:**

- **سمعياً:** حضور مقابل غياب بنية محددة بدقَّة.
- **تولدياً:** استشارة أوَّلية أو مجرَّدة لفتحة الحنجرة مع مرور حر عبر الجهاز الصوتي.

2- **الساكنية /غير الساكنية:**

- **سمعياً:** طاقة كليَّة منخفضة (مقابل عالية).
- **تولدياً:** حضور مقابل غياب لإعاقة في الجهاز الصوتي.والعلل مصوَّتة وغير ساكنة، أمَّا السَّواكن فساكنية وغير مصوَّتة، والسوائل مصوَّتة وساكنية (يرافقها معاً مرور حر وإعاقة في التَّجويف الفموي وأثر سمعي مقابل) والاِنزلاقيات غير ساكنية.

3-**المنكمشة /المنتشرة:**

_سمعياً: تركيز عالٍ (مقابل منخفض) للطاقة في منطقة مركزية ضيقة نسبياً

1- يُنظر: رومان جاكبسون، موريس هالة، أساسيات اللغة، تر: سعيد الغانمي، مشروع كلمة، أبوظبي_المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، ط.1، 2008 ص:60.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من الطّيف يصحبه إزدياد (مقابل تناقص) للمقدار الكلّي للطّاقة.

– **توليدياً:** مدفوع إلى طرف أمامي مقابل مدفوع إلى طرف خلفي ويكمن الفرق في العلاقة بين حجم موضوع الرَّنين أمام التَّضييق الأضيق ووراء هذا التَّضييق ونسبة الأول إلى الثاني أعلى مع الفونيمات المدفوعة إلى طرف أمامي من الفونيمات المقابلة لها المدفوعة إلى طرف خلفي.

4-الشَّديد /الرَّخو:

– **سمعياً:** معدَّل كلّي أعلى (مقابل أدنى) من الطاقة عند الضَّم مع نشر أكبر (مقابل أصغر) للطَّاقة في الطَّيف وفي الزمان.

– **توليدياً:** تشوُّه أكبر (مقابل أصغر) للجهاز الصَّوتي _بمعزل عن موقع سكونه_ ويؤثّر دور الجزء العضلي على اللّسان وتتطلَّب جدران الجهاز الصَّوتي وفتحة الحنجرة مزيداً من الفحص.

5-المجهور / المهموس:

– **سمعياً:** حضور مقابل غياب الإستشارة دورية التَّردّد منخفض.

– **توليدياً:** اِهتزازات دورية للأوتار الصَّوتية مقابل غياب مثل هذه الاِهتزازات.

6-الأنفي / الفموي (الأغن /غير الأغن):

– **سمعياً:** نشر طاقة متوفرة على مناطق تردّد أوسع (مقابل أضيق) باختزال شدَّة بعض المكوِّنات (الأول في الأساس) وتقديم مكوِّنات أنفية إضافية.

– **توليدياً:** مرنان فموي يكمِّله التجويف الأنفي مقابل اِستبعاد المرنان الانفي.

7-المنفصل /المتصل:

– **سمعياً:**صمت يتبعه أو يسبقه نشر الطَّاقة فوق منطقة تردّد واسعة مقابل غياب الاِنتقال المفاجئ بين الصَّوت ومثل هذا الصَّمت. [1]

1- المرجع السّابق، ص: 69_71.

– **توليدياً:** اِنعطاف سريع للمصدر إمَّا من خلال إغلاق سريع أو فتح للجهاز الصّوتي الذي يُميِّز الاِنفجاريات عن القوابض أو من خلال نقرة أو أكثر تميِّز السوائل المنفصلة مثل r منقورة أو خفاقة عن السوائل المتصلة مثل /l/ الجانبية.

8-القويُّ /الرَّخيم:

– **سمعياً:** ضجَّة لشدَّة أعلى مقابل ضجَّة لشدَّة أدنى.

– **توليدياً:** حافة خشنة مقابل حافة ليِّنة: إعاقة تكميلية تخلق آثار حافات عند موضع النّطق تُميِّز إنتاج الفونيمات ذات الحافة الخشنة عن العائق الأقل تعقيداً في نظائرها ذات الحافة اللَّينة.

9-المكبوح /غير المكبوح:

– **سمعياً:** معدَّل أعلى من تفريغ شحنة الطاقة داخل فاصل زمني مختزل مقابل معدَّل أدنى من تفريغ الشّحنة في فاصل أطول.

– **توليدياً:** ممرّر على فتحة الحنجرة (مع ضغط أو إغلاق فتحة الحنجرة) مقابل غير ممرّر على فتحة الحنجرة.

ب) ملامح النَّغمية:

10-الرَّزين /الحاد:

– **سمعياً:** تركيز الطّاقة في تردّدات أدنى (مقابل أعلى) للطَّيف.

– **توليدياً:** محيطي مقابل وسطي: للفونيمات المحيطية (اللَّهوية والشفوية) مرنان أوفر اِتساعاً وأقل تجزئة من الفونيمات الوسطية المقابلة لها (الطبقية والسَّنية).

11-المسطح /المستوي:

– **سمعياً:** تتَّسم الفونيمات المسطَّحة في التمايز مع الفونيمات المستوية المقابلة لها بتحول نازل أو إضعاف لبعض مكوِّنات تردّدها الأعلى[1].

1_المرجع السّابق، ص: 71_72.

– **توليدياً:** الفونيمات الأولى (المزمومة المضيقة) في التمايز عن الفونيمات الثانية (المزمومة الأعرض) تنطق بفتح خلفي أو أمامي متناقض لمرنان الفم، ويبسط إطباق مصاحب لها مرنان الفم.

12-الحاد /المستوي:

– **سمعياً:** الفونيمات الحادة في التمايز مع الفونيمات المستوية المقابلة لها تمتاز بتحوّل صاعد لبعض مكونات تردّدها الأعلى.

– **توليدياً:** الفونيمات الحادة (المزمومة الموسَّعة) مقابل المستوية (المزمومة الأضيق) تكشف عن مرور حنجري مفصل، أي فتح خلفي موسع لمرنان الفم، يحصر الإطباق المصاحب له ممَّا يحصر التجويف الفموي.[1]

لقد حاول جاكبسون من خلال دراسته اللّسانية حصر أكبر عدد من الملامح التَّمييزية التي تتعامل بها _ حسب رأيه_ لغات العالم كُلّها، "فهي لا توجد مجتمعة في لغة واحدة ولكن تختار كل لغة عدداً معيّناً منها."[2]

" فالفونيم إذنْ لا يتميّز عن الآخر بوجود الملمح فيه (فالملمح مشترك بينه وبين غيره) وإنَّما بأنَّه وحده هو الذي يحتوي تجمُّعاً معيناً من هذه الملامح. إنَّ "الباء" مثلاً مجهورة مثل الدال، وهي غير أنفية مثل الباء المهموسة، وهي شفتانية [شفوية] مثل الميم ولكنَّها الفونيم الوحيد الذي يملك التَّجمُّعات النّطقية المتزامنة (مجهور _ غير أنفي_ شفتاني.)"[3]

1- رومان جاكبسون، موريس هالة، أساسيات اللّغة، ص:72.

2- أحمد مختار عمر، دراسة الصَّوت اللّغوي، ص:193.

3- يُنظر: المرجع نفسه، ص:188.

ب-خاصية الإبدال والقلب:

إنَّ ما ذهب إليهالعلماء الغربيون قد عبَّر عنه علماؤنا بما يتناسب مع لغتنا العربية التي تميَّزت بخصائص جعلتها تنفرد عن اللّغات الأخرى فمن خصائص العربية الإبدال والقلب. حيث اِنطلقوا يؤكّدون أنَّ: "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض يقولون: مدحه ومدهه، وفرس رفل، ورفن وهو كثير مشهور قد ألَّف فيه العلماء."[1]

1-الإبدال:

أ- **لغة:** جاء في لسان العرب: "أبدل الشَّيء من الشَّيء وبدله: اِتَّخذه منه بدلاً، وتبديل الشَّيء تغييره والأصل في التَّبديل تغيير الشَّيء عن حالة الأصل، والأصل في الاِبدال جعل شيء مكان شيء آخر."[2]

ب- **اصطلاحا:** "لون من الاِنسجام والتّناسب في السِّياق اللّغوي وهو شبيه بالإدغام يهدف إلى تقريب صوت من صوت، اِقتصاداً في الجهد العضلي وتناسباً في السِّياق اللَّفظي ويكون بإحلال صوت مكان غيره في الصيغة الإفرادية لعلاقة بينهما في المخرج والصِّفة وقد كثُر الإبدال في أصوات العلَّة"[3] "التي هي أحقّ بالإبدال من كل ما عادها من الحروف لخفَّتها وكثرتها في اللِّسان العربي ومناسبة بعضها واِتِّساع مخرجها ولما فيها من المدِّ واللِّين وما تكسب الشِّعر من النَّغم والنَّلحين."[4]

1- أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة سنن العرب في كلامها، المكتبة السَّلفية، القاهرة، 1910م،ص:173.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ط، د.ت، ج11، ص:48.

3- مكّي درار، الحروف العربية وتبدّلاتها الصّوتية في كتاب سيبويه (خلفيات واِمتداد)، مطبعة اِتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007م، ص:212.

4- صبحي صالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2009م، ص:232_233.

" ولقد لخَّص بعض العلماء المحدثين العلاقات التي تسوِّغ الإبدال اللّغوي بين الحروف على طريقة الاشتقاق الأكبر فرأوا أنّها لا تخرج عمَّا يلي:

1_التّماثل الصَّوتي.3_ التّقاربالصَّوتي.

2_التّجانسالصَّوتي. 4_التّباعد الصَّوتي.

***وفي كل حالة من هذه الحالات فإنَّ: تقارب الأصوات يؤدِّي إلى تقارب المعاني وتباعد الأصوات يؤدّي إلى تباعد المعاني.

وقد أورد ابن جنِّي في باب " تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني " كثيراً من الأمثلة المتعلّقة بالإبدال وقال فيه: "وهذا الباب واسع من ذلك قوله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَتَؤُزُّهُمْأَزًّا} [2]أي تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزُّهم هزًّا والهمزة أخت الهاء فتقارب اللّفظان لتقارب المعنيين، وكأنَّهم خصُّوا هذا المعنى بالهمزة لأنَّها أقوى من الهاء وهذا المعنى أعظم في النُّفوس من الهزِّ، لأنك قد تهزُّ مالا بال له كالجدع وساق الشَّجرة، ونحو ذلك."[3]

على أنَّنا سنقتصر الحديث في هذا الموضوع عن تصاقب الألفاظ ومسوِّغات ذلك لنعرج في الجزء الموالي إلى الحديث عن تصاقب المعاني وعلاقة ذلك بما قاله رومان جاكبسون.

أزَّ	"أ"	حنجريه المخرج	الجهر	الشدَّة	الإصمات	الإستفال	الانفتاح
هزَّ	"ه"	حنجريه المخرج	الهمس	الرَّخاوة	الإصمات	الإستفال	الانفتاح

1- مكّي درار، الحروف العربية وتبدّلاتها الصّوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد)، ص:213.

2- سورة مريم، الآية: 83.

3- أبو الفتح عثمان بن الجنّي، الخصائص، تر: محمَّد علي النَّجار، المكتبة العلمية، ج2، ص:146.

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ أنَّ "أ" و "هـ" اِتَّفقتا مخرجاً واختلفتا صفة فالهمزة مجهورة شديدة والهاء مهموسة رخوة، وهو علّة إبدالهما من بعض.

← ومن الأمثلة ذلك مايلي:

*" الثاء أبدلوها ذالا، فتجانس الحرفان نحو: ثروة وذروة = مال، وأبدلوها فاءً فتقاربا صفة وتباعدا مخرجاً نحو: ثلغ رأسه وفلغه = إذا شدخه، والحُثالة والحُفالة = الرَّديء من كل شيء والثوم والفوم واللّثام واللّفام، والأثاثي والأفاثي."[1]

ث	أسناني المخرج	الهمس	الرخاوة	الاِستفال	الاِنفتاح	/
ذ	أسناني المخرج	الجهر	الرخاوة	الاِستفال	الاِنفتاح	/
ف	شفوي أسناني المخرج	الهمس	الرخاوة	الاِستفال	الاِنفتاح	الاِذلاق

ومسوِّغ الإبدال هنا هو: التجانس الصَّوتي بين (ث و ذ) حيث اِتَّفقتا مخرجاً وتباعدتا صفة، أمَّا مسوِّغ إبدال (ث و ف) فهو التقارب الصَّوتي حيث تقاربتا صفة (الهمس) وتباعدتا مخرجاً.

*" ومن التقارب بين (ح، خ): الطحرور والطخرور للسِّحابة، واطمحرَّ واطمخرّ: اِمتلأ وروي، وبين (ح، هـ): مدحت الرَّجل ومدهته، وبين (ح، كـ): سفح ما في الإناء وسفكه، وسفح دمه وسفكه."[2]

ح	حلقي	الاِصمات	الهمس	الرخاوة	الاِستفال	الاِنفتاح	/
خ	طبقي	الاِصمات	الهمس	الرخاوة	الاِستعلاء	الاِنفتاح	/
هـ	حنجري	الاِصمات	الهمس	الرخاوة	الاِستفال	الاِنفتاح	اللّين
كـ	طبقي	الاِصمات	الهمس	الشدَّة	الاِستفال	الاِنفتاح	/

1- عبد الرحمان جلال الدين السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت، ط3، ج1، ص:465.

2- صبحي صالح، دراسات في فقه اللّغة، ص:223.

من خلال الجدول الموضَّح أعلاه نلاحظ أنَّ "ح" تقاربت مع "هـ" مخرجاً واتَّحدتا صفة، وتقاربتا كذلك مع "خ" و "كـ" مخرجاً وتباعدت معهم صفة (الاِستفال ≠ الاِستعلاء، الرَّخاوة≠ الشدَّة) الأمر الذي سوَّغ لنا الإبدال.

ولا يقتصر الإبدال في اللّغة العربية على الصَّوامت فقط بل للصَّوائت نصيب من ذلك وهو ما يعرف بالإبدال الصرفي " فالعربية الفصيحة ثلاثُ حركات قصار، وثلاث طوالٌ هي المعروفة عندهم بحرف المدِّ: الألف والواو والياء."[1]

*"فالفتحة القصيرة← ألف قصيرة يُشار إليها بالرمز (ـــ) فوق الحرف الصَّامت.
*والفتحة الطَّويلة← الألف يُشار إليها بالرمز (ا) كما في سما و(ى) _دون أن تنقط_ كما في فتى.
*والكسرة القصيرة← (ياء قصيرة) يُشار إليها بالرمز (ـــ) تحت الحرف الصَّامت.
*والكسرة الطَّويلة← الياء يُشار إليها بالرمز (ي).
*والضَّمة القصيرة← (واو صغيرة) يُشار إليها بالرمز (ُ) فوق الحرف الصَّامت.
*والضمَّة الطَّويلة← (الواو) يُشار إليها بالرمز (و)، كما في العفو، بينما يُشار إليها بالرَّمز (وا) كما في كلمة لعبوا ممَّا يعني أنَّ الصَّوائت العربية تكتب برموز مختلفة."[2]

" فمن المعروف أنَّ الكلمات العربية مادتها الأساسية تلك الأصوات المعروفة بالأصوات الصَّامتة أو الساكنة كالباء والتاء والثاء ... إلخ ولكن هذا الأصل يلحقه تعديل وتحويل أو تحوير وتغيير بواسطة الحركات، فينتج لنا عن هذا الأصل مجموعة من الأوزان أو الصِّيغ الصرفية لكل منها قيمة معجمية دلالية مختلفة فالأصل المتمثل في (ع، ر، ض) مثلا يمكن أن نأتي منه بطريق التَّغيير في الحركات بالكلمات التالية:

1- كمال بشر، علم الأصوات، ص: 17.

2- عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللّغوية (الفنولوجيا)، ص:136_137.

عَرْض (بفتح العين وسكون الراء) ومعناه ضدَّ الطول أو هو مصدر عرض، يعرض، وعِرْض (بكسر العين) ومعناه الحسب والشَّرف، وعُرْض (بضم العين) ومعناه الجانب كما في قولنا: ألقى به عُرض الحائط أو معناه (الوسط) كما في نحو (في عُرض البحر) أي في وسطه، وهكذا نرى أنَّ الوزن الصَّرفي مختلف، وكذلك الحال بالنِّسبة للدَّلالة المعجمية."[1]

"ولا يتمُّ الخلاف كما سبق بمعاني المفردات بالأصوات الصَّائتة فقط، بل يتمُّ أيضاً بغيرها من المميِّزات الصَّوتية التي تستعين بها اللّغات لتعيين المعنى (الفرق الذي يقوم بين حَكَمَ وحَاكَم، حُكِم وحوكِم، بَوْن وبَيْن، عَوْن وعَيْن ...)"[2]

"ففي حَكَمَ ≠ حاكم، حُكِم ≠ حُوكمَ (تنشأ القيمة الخلافية في هاتين الحالتين من عامل المدّ) و في بون ≠بين، عون≠ عين(تنشأ القيمة الخلافية من صفات الواو الساكنة أو الياء السَّاكنة.)"[3]

وسيأتي بيان دور حروف المدِّ _في تحديد المعنى واِختلافه _ أكثر في حديثنا عن الملامح العروضية عند رومان جاكبسون من خلال الحديث عن النَّواة من حيث الطُّول والقصر والكمية.

وقد ولَعَ **ابن جنّي** بهذا النَّوع من الإبدال حيث يقف عليه من وجهة التّقارب أو التّباعد أو التّجانس الصَّوتي للمخارج والصِّفات بل راح يربط الحروف بدلالاتها إذ يقول في الخصائص "فأمَّا مقابلة الألفاظ بما يُشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم وواسع ... وذلك أنَّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها."[4]

1- كمال بشر، دراسات في علم اللّغة، ص:201_202.

2- عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللّغوي (الفنولوجيا)، ص:69.

3- المرجع نفسه، ص:71.

4- أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، المكتبة العلمية، ج2، ص:157.

من ذلك قولهم:" خضِم، وقضِمَ، فالخضم لأكل الرَّطب كالبطّيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرَّطب. والقضم للصَّلب اليابس، نحو قضِمت الدَّابة شعيرها ونحو ذلك.

فاختاروا "الخاء" لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذْواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

ومن ذلك قولهم: النّضح للماء ونحوه، والنّضخ أقوى من النَّضح؛ قال تعالى: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} [1]فجعلوا "الحاء" _ لرّقتها_ للماء الضّعيف، والخاء _ لغلظتها_ لما هو أقوى منه."[2]

"ومن ذلك القَسْم والقَصْم، فالقَصْم أقوى فعلاً من القَسم، لأنّ القَصْم يكون معه الدقّ، وقد يُقسم بين الشَّيئين فلا يُنْكأ أحدهما، فلذلك خصَّت بالأقوى الصَّاد وبالأضعف السين."[3]

***من خلال الأمثلة التي ساقها اِبن الجنِّي نستنتج أنَّ العرب اِستعملوا الحروف القويَّة بصفاتها للدَّلالة على الأحداث القوية والحروف الضعيفة بصفتها للدَّلالة على الأحداث اللَّيِّنة ففي /قضم وخضم/ كانت القاف أقوى صلابة بالجهر والشدَّة والرَّخاوة فدلَّت على الشَّيء الصَّلب اليابس، في حين دلت الخاء بهمسها ورخاوتها على أكل الشَّيء اللَّين الرَّطب. والأمر نفسه مع بقية الأمثلة، وتعدُّ هذه الظواهر اللّغوية خاصية اِنفردت بها اللّغة العربية من حيث

مناسبة الحروف للمعاني.

***إنَّ المتتبِّع لمنهج الملامح الخاصيَّة عند جاكبسون سيلاحظ أنَّ تحديده كان تحديداً مادياً أصماً ذلك أنَّه لم يربط هذه الملامح بمعاني كلماتها واكتفى بذكر سمات الحروف التي تؤلّفها فقط على عكس ما ذهب إليه اِبن جنِّي في كتابه الخصائص حيث ربط بين الحروف وصفاتها للوصول إلى دلالاتها والتفرقة بينها، فبالعودة إلى مثال (هزَّ و أزَّ).

1- سورة الرّحمان، الآية: 66.

2- ابن جنّي، الخصائص، ص:157_158.

3- المرجع نفسه، ص:161.

نجد أنَّ اِبن جنِّي جعل الهزيز للشَّيء الضَّعيف في حين دلَّ الأزيز على الشَّيء القوي وتبرير ذلك عائد إلى كون أنَّ:

الهمزة: "صوت شديد مهموس مرقَّق يُنطق بإغلاق الأوتار الصَّوتية إغلاقاً تاماً يمنع مرور الهواء فيحتَبس خَلفها ثمَّ تفتح فجأة فينطلق الهواء متفجِّراً."[1]

الهاء: "صوت رخو مهموس مرقَّق يتمّ نطقه بأن يحْتك الهواء الخارج من الرِّئتين بمنطقة الأوتار الصَّوتية دون أن يُحدث ذبذبة لهذه الأوتار... ولولا هذا الحفيف الذي يحدث بمنطقة الأوتار الصَّوتية لَمَا سُمِع غير صوت الزَّفير العادي."[2]

ومنه كان استعمال "الأزيز" للشَّيء القوي المدوِّي كقولنا أزيز الطائرة والرَّعد والقدر وكلّها تحمل معنى الشدَّة في الحركة والاِضطراب والغليان، و"الهزيز" للشَّيء الضَّعيف، فهزَّ بمعنى حرَّك بشيء من القوة، لكنَّه أقلُّ شدّة من الأزيز ففي التّنزيل قوله تعالى في سورة مريم: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ} [3]فقد ناسب الفعل هزَّ ضعف السيِّدة مريم بسبب آلام الولادة.[4]

أمَّا جاكبسون فيكتفي بالقول أنَّ: الهمزة اِنفجارية والهاء اِحتكاكية "فالهمزة والهاء منطقتهما النّطقية واحدة ولكن يختصّ كل واحد من الصَّوتين بملمح ينفرد به يؤهِّله للاِستقلال والكيان الخاص، فالهمزة وقفة اِنفجارية، أو صوت شديد في اِصطلاحهم القديم والهاء اِحتكاكي أو رخو، ومن ثمَّ سار كل صوت في طريقه يؤدِّي دوره في اللّغة."[4]

1- رمضان عبد التَّواب، المدخل إلى علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، ص:56.

2- المرجع نفسه، ص: 59.

3- سورة مريم، الآية 25.

4- يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص:307_308.

5- كمال بشر، دراسات في علم اللّغة، ص: 195.

*** وبالعودة كذلك إلى المثال السَّابق: (حَكَمَ≠ حَاكم) و(حُكِم≠ حُوكِم) نكْشف عن الملمح العروضي الذي حدَّده جاكبسون "فأنماط التَّغيير الحاصل لتشكيل الأفعال يمكن أن تُعرض بوسيلة صوتية مقطعية نستطيع أن ندرك من خلالها مباشرة كُنه ذلك التَّغيير."[1] فعند كتابة كل من حَكم وحاكم كتابة مقطعية نلاحظ مايلي:

حَكَمَ: ح/ـ/ك/ـ/م/ـ/ حَاكم: ح/ـ/ـ/ك/ـ/م/ـ/

تحول المقطع الأول في (حَكم) من مقطع بصائت قصير (الفتحة)إلى مقطع بصائت طويل (ألفالمدّ)، حيث أدَّى هذا التَّقابل بين الحركتين (الطويلة والقصيرة) إلى اِختلاف اللَّفظين ومعناهما، "وربَّما كانت العربية من أغنى اللّغات في نسبة تردّد ظاهرة التقابل هذه وذلك كما في : قتل، قاتَل، قُتِل، قُوتِل، ودَفَعَ، دَافَعَ، ومال، مالاً وغير ذلك ممَّا هو من بابه، فالفرق بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة في هذه الكلمات فرق في اللَّفظ وفي المعنى،[2] "فالألف والتي هي عبارة عن فتحة طويلة مُتكوِّن من فتحتين، والواو من ضمَّتين، والياء من كسرتين، أي أنَّ الحركة الطويلة تُعادل حركتين قصيرتين"[3]على حدِّ قول اِبنجنِّي: "الألففتحةمشبَّعة،والياءكسرةمشبَّعة،والواوالضمَّةمشبَّعة."[4]وهذاالتَّحديدمرتبطبالزَّمنإذأنَّطولحركةما يعني: "المدَّة الزَّمنية اللازمة لتدفُّق الهواء المنتج لهذه الحركة معثبات أعضاء النّطق على وضعمعيَّن."[5]

1- أحمد كشك، من وظائف الصَّوت اللّغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب، القاهرة، 2006م، ط1،ص:36.

2- سمير شريف إستيتيه، الأصوات اللّغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان، 2003م، ط1،ص:242.

3- يُنظر: جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمت: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، 1966م، ص:151.

4- ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ص: 23.

5- سمير شريف إستيتية، الأصوات اللّغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص:241.

"فالطَّويل طويل بالنِّسبة لما هو أقصر، والقصير قصير منسوباً إلى ما هو أطول، ولكن الوقت عامل من عوامل فهم المدَّة، فإنَّ المدَّة تُقاس في علم الأصوات بواحد على المائة من الثانية والمدَّة تنسب إلى الصَّوت والكميَّة تنسب إلى الحرف والمقطع."[1] "فالفرق بين الحركات القصيرة والطَّويلة، فرق في الكميَّة لا في الكيفية بمعنى أنَّ وضع اللِّسان في كليهما واحد، ولكن الزمن يقصر ويطول في كل صوت فإذا قَصُر كان الصَّوت قصيراً وإذا طال كان الصَّوت طويلاً. والذي يُحدِّد الطّول والقصر هنا، هو العُرف اللّغوي عند أصحاب اللّغة."[2]

1- تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص:158.

2- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللّغة، ص:96.

ج_حركة الفونيم في اللّفظ وأثره على الكلمة (القلب):

ولنا في هذا الموضع أن نذكر اِجتهادات "أندري مارتيني" الذي يمثل الجانب الوظيفي إلى جانب تروبتسكوي و جاكبسون، إذ يرى مارتيني: "أنَّ اللّغة عبارة عن أداة إبلاغ ثنائية التقطيع يُقابلها تنظيم مخصوص لمعطيات التّجربة."[1]

ومعنى ذلك "أنَّ الكلام يُحلّل في وحدات يمكن أن تتعاقد بعضها ببعض لتأليف التراكيب ... وهذه الوحدات (وهي العلامات عند سوسير والمورفيمات عند التَّوزيعيين) تُسمَّى عند مارتيني "اللَّفاظم" أو وحدات التَّقطيع الثاني وهي الصَّواتم."[2]

1- تعريف اللَّفاظم: "وهي الوحدات الدَّلالية (من التقطيع الأوَّل) الدّنيا التي تحتوي على مدلول ودال، وتحليل الملفوظات المركَّبة إلى لفاظم يعتمد الطرق المتوخَّاة في علم وظائف الأصوات (مقاربة ومقارنة بين المقطوعات): فالقصد في الحالتين أن نحدّد القطع التي ترجع

إلى الاِختيار المخصوص لدى المتكلّم ففي باب الصَّواتم يتعلَّق الأمر بقطع يجب اِختيارها للحصول على دال معيَّن وأمَّا هنا فالأمر يتعلق بقطع اِختارها المتكلم مباشرة بمقتضى القيمة التي يعطيها للبلاغ."[3] "فأوجه الاِختلاف بين المستويين تجعل من الصّعب توفير وصف متماثل تماثلاً تاماً ففي مستوى الصَّواتم يسهل الظرف لأنَّه لا يوجد إلاَّ ضرب من العلاقة بينهما في سلسلة الكلام، وهي علاقة توافق محضة حالة الاِلتصاق أو الاِبتعاد والمرتبة تُصبح مميَّزة مباشرة: (maL)، (mal) مختلف مع: lam، lame، وأمَّا فيما يخص اللَّفاظم فوظيفة المرتبة لا يسهل تحديدها: demain, je partirai لها نفس معنى je partirai demain."[4]

1-كاترين فوك و بيارلي فوك ، مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، تر: المنصفعاشور ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية بن عكنون_الجزائر، د. ط، 1984، ص: 45.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها، نقلا عن: مارتينيه، مبادئ في اللّسانيات العامة، الطبعة الأخيرة،1974، ص: 103.

3- المرجع نفسه.

4- كاترين فوك و بيارلي فوك ،مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، ص: 47.

***من خلال ما سبق نلاحظ قوَّة العلاقة بين فونيمات كلمة ما من حيث الاِتصال والتَّتابع في حين يختلف الأمر مع اللَّفاظم، إذ يعتبر مارتيني "أنَّ تعاملية اللَّفاظم تختلف عن تعاملية الصَّواتم ... اللَّفاظم ليست دائماً بيِّنة التراتيب، الواحد تلو الآخر في التّركيب مثلما هو شأن الصَّواتم"[1] ومعنى ذلك أنَّ الفونيمات تتميَّز بتتابع مشروط لتأليف الكلمة المرجوَّة من طرف المتكلّم واختلاف فونيماتها في التّرتيب ينتج عنه كلمة جديدة تخالف الكلمة الأولى في المعنى.

أمَّا في لغتنا العربية فالأمر يتعلّق بخاصيّة من خصائصها، إذ أنَّ اِختلاف ترتيب نفس حروف الكلمة الواحدة يُعرف بظاهرة القلب الذي يُعدُّ من الخصائص الثابتة للّغة العربية.

2- القلــب:

أ- **لغة:** تحويل الشَّيء عن وجهه وقلب الشَّيء وقلَّبه: حوَّله ظهراً لبطْن.[2]

ب-اِصـطلاحاً: "الاِشتقاق الكبير أو الأكبر (كما يسمِّيه اِبن جنِّي)، هو أن يكون بين كلمتين تناسب في اللَّفظ والمعنى دون ترتيب الحروف نحو: جذب وجبذ، وحمد ومدح، اِضمحلَّ واِمضحلّ."[3] وتعود فكرة التقاليب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي "حاول بعبقريته الفذَّة حصر كل المستعمل من كلمات اللّغة العربية، معتمداً على تقليب اللَّفظ إلى كل الاِحتمالات الممكنة ومُّبيناً المستعمل من هذه التقاليب من غير المستعمل وعلى أساس فكرة التقاليب هذه رتَّب معجمه كتاب العين"[4]وأكثر من اِهتمّ بهذا النَّوع من الاِشتقاق وسمَّاه.هو اِبن جنِّي الذي أفرد له باباً سمّاه الاِشتقاق الأكبر إذ يقول: " وأمّـَا الاِشتقاق الأكبر فهو:

1- المرجع السّابق، ص: 47.

2- اِبن منظور، لسان العرب، ج1، ص:685.

3- إميل بديع يعقوب، فقه اللّغة العربية وخصائصها، ص:198.

4- المرجع نفسه، ص:200.

أن تأخـذ أصـلاً من الأصول الثلاثيـة فتعقد عليـه وعلـى تقاليبـه السـتَّة معنـى واحداً، تجتمـع التراكيب السـتَّة ومـا يتصـرَّف من كل واحدٍ منهـا عليـه، وإن تباعد شـيء من ذلك [عنـه] رُدَّ بلُطف الصّنعة والتَّأويل إليه."[1]

ومـــن ذلـــك "تقليـــب (س م ل) (س ل م) (م س ل) (م ل س) (ل م س) (ل س م) والمعنـى الجامع لهـا المشتمل عليها الإصحاب والملاينـة، ومنها الثوب السَمَل وهو الخَلَف، وذلك لأنَّه ليس عليه من الوبر ما على الجديد ... والسَّمل: المـاء القليل، ومنها السَّلامة ... ومنها المَسْل والمسَل والمَسيل كلّه واحد، وذلك أنَّ الماء لا يجري إلاَّ في مَذْهب له إمام منقاد بـه ... ومنهـا اللمس وذلك أنَّـه إن عـارض اليد شـيء حائل بينهمـا وبين الملموس لم يصـحَّ هناك لمسٌ وإنَّما هو إهواءٌ باليد نحوه."[2]

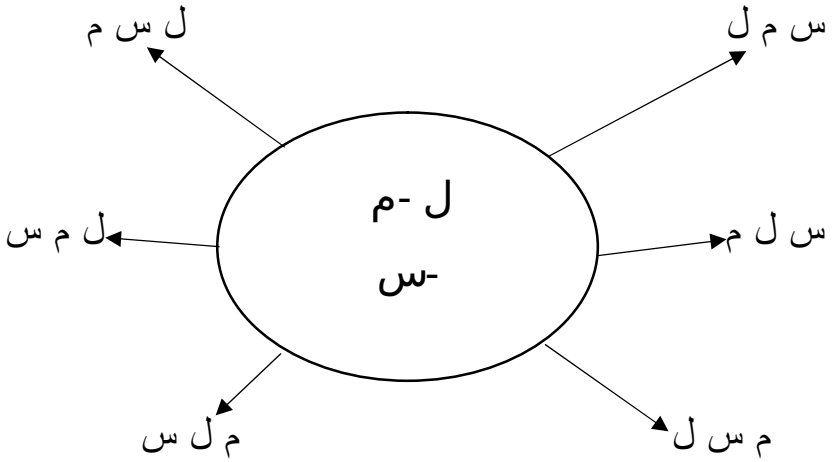

*** بالمقارنة بين ما ذهب إليه مارتيني وابن جنِّي نجد أنَّ الأوَّل ينفي وجود القلب ذلك أنَّ الفونيمـات تتميَّـز بالِالتصـاق مـع بعضـها البعض وتبادلهـا المواقـع يؤدِّي إلـى اِنتـاج دلالات مختلفة في حين يعتبر اِبن جنِّي أنَّ الفونيمات مهما تبادلت مواقعها فإنَّها تؤدِّي إلى اِنتاج كلمـات تشـترك جميعهـا فـي الدّلالـة العامَّـة النَّاتجـة عـن الجمـع بـين حـروف الكلمـة الواحـدة بتقاليب مختلفة، ويُعدّ هذا من الخصائص المميَّزة للّغة العربية.

1- أبو الفتح عثمان بن جنِّي، الخصائص، ج2، ص:134.

2- المرجع نفسه، ص:137_138.

2) الفونيم وتنوعاته الموقعية:

وعند الحديث عن الفونيم وتنوعاته الموقعية نتحدث عن القاعدة الثالثة لتروبتسكوي الذي يقول: "وفي أيٍّ لغة إذا لم يظهر البنَّة في نفس الجوار النَّصويتي المحيط صوتان متجانسان متقاربان في المخرج من وجهة النَّظر السَّماعية الأكوستيكية أو التلفظية كان لنا أن نعتبر هذين الصَّوتين لهما وجوه مميلة مناسبة التَّأليف لذات الوحدة الصَّوتية.

ويمكن هنا أن نتبين "3" حالات نموذجية:

أ) توجد في كل لغة مدروسة à، a"، a"" بحيث لا تظهر إلاَّ في موضع معيَّن، كما يوجد من ناحية ثانية صوت واحد هو مثلاً: a لا يظهر البنَّة في واحد من تلك المواضع المذكورة آنفاً وفي هذه الحالة قد يجوز أن تكون لحرف a علاقة مع وجه واحد من الوجوه المميلة المتغايرة إزاء أصوات الفئة فمثلاً في لغة الشعبالكوري نجد الحرفين s و r لا يظهران متطرِّفين من آخر اللَّفظ في حين أنَّ الحرف L لا يقع إلاَّ متطرِّفاً، وهو ذولقي المخرج لذلك كان أشبه بالحرف r منه بالحرف s، ومن ثمَّ يمكن أن نعتبر أنَّ الصَّوتين L وr في هذه اللّغة وجوها مميلة مناسبة التّأليف لوحدة صوتية فريدة من نوعها.[1]

"وذلك كتلفظ العرب بالفونيم "ن" بصورة صوتية مختلفة حسب موقع هذا الفونيم في الكلمة.

فالنون الساكنة قبل صوت أسناني كـ (ث) تنطق أسنانية.

والنون الساكنة قبل صوت لهوي كـ (ق) تنطق لهوية."[2]

"فالنون صوت واحد إذا نظرت إليها من النَّاحية الوظيفية... ولكنَّها عدَّة أصوات إذا نظرت إليها من النَّاحية النّطقية الصَّرفية فقط، أي: من حيث واقعها في النّطق الفعلي

1- تروبسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات (الفنولوجيا)، ص:54_55.

2- عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللّغوية (الفنولوجيا)، ص:67.

في الكلام، ومن حيث تأثيرها على السَّمع... فالنّون في (إن ثاب) مثلاً لاتحلُّ محلَّ النّون في (إن شاء) في الأسلوب اللّغوي الواحد في حين أنَّ النون بوصفها وحدة أو صوتاً مستقلاً هي التي تتبادل المواقع مع غيرها من الوحدات كما في (ناب) و(ثاب)"[1] ومعنى ذلك أنَّ النّون في (إن ثاب) و(إن شاء) وجوه مميلة للوحدة الصَّوتية (ن).

ب) "توجد في لغة معيَّنة سلسة من الأصوات لا تظهر إلاّ في موضع معيّن، كما يوجد من ناحية ثانية سلسلة أخرى من الأصوات لا يستصاغ وقوعها في ذلك الموضع بالذَّات وفي هذه الحالة يتَّفق أن تحدث علاقة وجه مميل مناسب التّركيب بين كل واحد من أصوات السلسلة الأولى وصوت من أصوات السلسلة الثانية الأكثر تقارباً وتجانساً من الوجهة السَّماعية أو التَّلفظية فمثلاً: في اللّغة الروسية فالأصوات ("o و"a) لا تظهران إلاّ بين الصَّوامت التي يكون مخرجها من الحنك، بينما لا تظهر o و a في هذا الموقع أبداً، ولمَّا كان الحرف o" صائت فيه شيء من إشمام الشَّفة بالضَّم ومن درجة اِنفتاح متوسطة، قريب الشَّبه بالحرف o منه بالحرف a، فقد أُعتبر الحرفان o و o" وجوهاً مميلة ملائمة لتّركيب الوحدة الصَّوتية (o) وكان الحرف ("a) صائتاً ليس فيه إشمام ولا ضم للشَّفة ومن درجة اِنفتاح قصوى كان أقرب إلى a منه إلى o."[2]

*** وقريب منه في لغتنا العربية قضية اِنتقال العرب إلى صوت الهمزة بعد حركة قصيرة ويظهر ذلك كثيراً في قراءة القرآن الكريم نحو قوله تعالى:{فأوحى إليهمُ أن سبِّحوا بكرة وعشيًّا}[3]فمن الصعب أن يتنقل المتكلّم من حرف الميم المضمومة إلى الهمزة دون مدٍّ، ذلك أنَّ مخرج الميم المضمومة بعيدٌ عن مخرج الهمزة فالأولى تتحقّق من مخرج شفوي أمَّا الثّانية فمن أدنى الحلق فاحتاج المتكلّم إلى المدِّ لتحقيق الهمزة دون الاِخلال بمواصفاتها واِجهاد

1- كمال بشر، علم الأصوات، ص:481.

2- تروبسكوي، علم وظائف الأصوات (الفنولوجيا)، ص:55

3- سورة مريم، الآية: 11.

الجهاز الصَّوتي فكان المدُّ وجهاً مميلاً للضمَّة، فالفرق بين مثال تروبتسكوي ومثالنا أنَّ في اللّغة الرُّوسية كان الوجه المميل سببه ما قبله في حين أنَّه في العربية سببه ما بعده.

ج) "وقد يوجد في لغة معيَّنة صوت واحدٌ يقع على وجه الحصر في موضع معيَّن كما أنَّه يوجد صوت آخر لا يظهر أبداً في هذا الموضع، وفي هذه الحالة لا يمكن أن نعتبر هذين الصَّوتين وجوها مميلة ملائمة التأليف لوحدة صوتية بعينها، لو لم يتقابل من الوجهة الفنولوجية تقابلاً غير مباشر."[1]

*** وهنا يقرُّ تروبتسكوي أنَّه كما توجد فونيمات تستطيع أن تشكّل مع فونيمات أخرى وجوهاً مميلة، توجد بالمقابل فونيمات لا تستطيع أن تشكّل مع فونيمات أخرى وجوهاً مميلة ولعلَّ ذلك يشبه ظاهرة الإظهار في علم التَّجويد إذ أنَّه من المستحيل أن تدمج حروف الإظهار (أ، هـ، ع، ح، غ، خ) مع النون الساكنة أو التَّنوين لإنتاج وجه مميل لوحدة صوتية معيَّنة.

كما يرى **دانيال جونز** أنَّ الفونيم في لغة ما عائلة من الأصوات متقاربة في خصائصها.[2] أمَّا أعضاء كل فونيم من هذه الفونيمات فهي أصوات جزئية، أو أمثلة واقعية للفونيم، وتسمى variantes "التنوعات أو [ألوفونات]" allophones. وهذه الأعضاء لا تتبادل المواقع الصَّوتية فيما بينها فكل عضو خاص ببيئة صوتية معينة.[3]بحيث لا تسمح بأن يستعمل أحدها في نفس البيئة الصَّوتية التي يستعمل فيها الآخر أبداً،[4] وهو ما أطلق عليه ماريوباي ب: تنوعات موقعية positionalvariants أو ألوفونات لنفس الفونيم حيث يقول عن الفونيم أنَّه إذا كان من الممكن أن يشتمل على صوت واحد: فون phone

---

1- تروبسكوي، علم وظائف الأصوات (الفنولوجيا)، ص:55_56.

2- تمّام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص:126.

3- عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية (الفنولوجيا)، ص:73.

4- المرجع السابق، ص:126.

أو" صوت موضوعي" فهو في الكثير الأعمّ يشتمل على مجموعة من الفونات المتشابهة، أو التنوعات الصَّوتية phonetic variantsفهو، التي يتوقف استعمال كل منها أساساً على موقعه في الكلمة (أولاً، وسطاً، آخراً... إلخ) وعلى الأصوات المجاورة له (قبل علّة، قبل ساكن، بين علّتين، ملاصق لصوت مجهور أو مهموس ...إلخ).[1]

ومثال ذلك ما يمثل في الكتابة بالرّمز p كما في pit و spit و sip إنّما يوحي في الحقيقة ثلاثة فونات مختلفة وإن كانت متشابهة ومتقاربة وهي تصدر عن المتكلّم بلغته بدون وعي ودون أن يفطن إلى الفروق بينها في العادة إلاّ إذا نبه إليها وعلى الرَّغم من أن p في الكلمات الثلاثة السابقة تمثل أصوات موضوعية متخالفة أو ثلاثة فونات فهي تمثل فونيماً واحداً في الوعي العادي للمتكلّم الأمريكي هذه الفونات الثلاثة حينئذ تسمى تنوّعات موقعية positional variants، أو ألوفات allophones لنفس الفونيم[2] ومثال ذلك في اللّغة العربية حرف الكاف الطَّبقي مخرجاً والذي يُنطق مُغَوَّراً لاسيما حين يكون متبوعا بكسرة لأنَّ الكسرة صائت أمامي يساعد على التَّغوير.[3]أي أنَّ مخرجه يميل إلى القرب من منطقة الغار في سقف الفم كما يسمع في لهجات العراق، وفي لهجة عدن، في مواضع معينة، نحو: (فيك، عيك، حكيم، حكمة). هذه الأصوات في لهجة العراق تبدو للسّمع كأنها أصوات مركبة من التّاء السَّاكنة والشّين، وهي أقل تغوير من ذلك في لهجة عدن.[4]

وقد يجهر هذا الصّوت _ وهو في الأصل مهموس_ جهراً خفيفاً إذا وليه صوت الدّال كما في : يكذب، وتصحبه نفخة خفيفة aspiration إذا وليه صوت من أصوات الكسرة كما في كلمة "تأكيد".[5]

1- ماريو باي، أسس علم اللّغة، ص:88.

2- يُنظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- يُنظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م، ص:128.

4- تمّام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، ص:96.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن الأمثلة كذلك: تفخيم بعض الحروف إذا وقعت في حال تركيبها موقعا يستوجب ذلك.[1] والتّفخيم في الفصحى يختلف عنه في العامية فهو في الفصحى يرتبط بالحروف والتي هي (ص ض ط ظ غ خ ق)، أمَّا في العاميات فهو ظاهرة موقعيّة ترتبط لا بالحروف وإنّما بالموقع في السياق،[2] كتفخيم الرَّاء المفتوحة والمضمومة والسَّاكنة الواقعة بعد ضم أو فتح وترقيق ما سواها.[3] ومن الأمثلة كذلك أننا لو نظرنا إلى النّطق القرآني للسِّين، في كلمة "مسيطر" لوجدناه يرد أحياناً بالسين المرققة، ويرد أحياناً أخرى بالمقابل المفخَّم للسّين، وهو صوت الصّاد وعلى هذا، فإن هذين الصوتين هما صورتان أو تنوعان لفونيم واحد، مادام التغيير لم يترتب عليه اختلاف في المعنى الدلالي والعقلي للكلمة.[4]

*** من خصائص اللّغة العربية أن الصوت إذا تغيَّرت صِفَته كالرَّاء مثلا وتنقَّل ما بين كونه مرققاً أو مفخماً لا يتغير رسمه لأن اللّغة العربية جعلت له صورة واحدة والتفخيم فيه صِفة عارضة والأصل فيه الترقيق لذلك لَهُ رسم واحد.

أما إذا انتقلنا بصوت من صفة إلى صفة كالسِّين التي أصلها مُرَقّق وإذا فُخِّمت تُطابق نموذجاً هو في الأصل موجود في اللّغة، ونقصد أنَّ السّين إذا فخّمت صارت بمواصفات حرف الصَّاد في اللّغة العربية ومَادام الحرف الذي أخذت صفته _ ولو بحال عارض_ موجود فتأخذرسمه مثال (سراط _ صراط) و(مسيطر _ مصيطر).

1- محمّد مبارك، فقه اللّغة وخصائص العربية، ص:58.

2- يُنظر: تمّام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص:153.

3- المرجع السابق، ص:65.

4- محمّد جواد النوري، علم الأصوات العربية، ص:122.

ومن الأمور الواضحة المسلم بها أن فونات الفونيم الواحد يجب أن تتقاسم بعض الشَّبه الصَّوتي مثل المخرج وكيفية النّطق، فالعلاقة بين الأعضاء المختلفين في الفونيم الواحد إما أن تكون عضوية أو صوتية أي أنها إما أن تكون علاقة بالمخرج، أو علاقة بالصّفة ومعنى ذلك أنّ النون التي قبل الثّاء بما فيها من إخراج اللّسان ومن الصفات الأخرى لا تحل محل النّون التي قبل القاف، لأن لكل منهما مكانها وبيئاتها الصَّوتية الخاصة بها. وهذا هو المقصود بمعنى التّخارج بين الأصوات، فكل صوتين من نفس الحرف متخارجان من جهة الموقع أي لا يقع أحدهما موقع الآخر. والعلاقة بين الخاء المهموسة في (يخشى) والمجهورة في (أصخ غير مأمور) علاقة بالمخرج مع اختلاف الصّفة، ولكن العلاقة بين النّونات المختلفة التي ذكرناها علاقة بالصّفة مع اختلاف المخرج.[1]

" ومن الفونيم ما يكون ذا أعضاء متعدّدة كالنّون و ما يكون ذا عضو واحد كالياء"[2]***وقد ضربنا مثالا عن فونيم النّون واختلاف أعضائه باختلاف مواقعه، فالنّون اصطلاح شامل يدخل تحته عدد من الأصوات في مثل (نحن) و(إن ثاب)و تعدّد أعضاء النّون راجع إلى طريقة انتاجه فهو قابل للتّأثر بالأصوات المجاورة له، لكن الياء ليس لها أعضاء ذلك أن زمن و تقنيات انتاجها يأخذ كلّ الجهد إذ نحتاج إلى وقفة خفيفة لإنتاج الصّوت المجاور لها، ولأنّ جهاز الإنسان كما نعلم يميل دائما إلى السّهولة في أداء الأصوات،فالألوفونات إذن هي أعضاء للفونيم وهي التمثيل الواقعي له، هذه الأعضاء يجمعها شبه صوتي، ويُستعمل كل منها بحسب السّياق الذي تقع فيه أو بحسب الأصوات المجاورة لها؛ فالموقعية والمجاورة تتحكم في اختيار عضو عن عضو آخر مع استحالة وقوع ذلك العضو مكان الآخر، إلا إذا تغيّر السّياق.

1- يُنظر: تمّام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص:126_127.

2- المرجع نفسه، ص: 127.

خلاصة الفصل:

لقد تحدَّثنا في الفصل الثّاني عن الموقعيّة وأثرها في تحديد الفونيم ومكوِّناته والتي جعلها جاكبسون تكمن في الملامح التَّمييزية المتأصِّلة والعروضية إضافة إلى عنصر الاِستبدال الذي ذكره كل من تروبتسكوي وجونز، محاولين في كل ذلك الكشف عن خصائص العربية التي اِنفردت بها من إبدال وقلب معتمدين على الشّرح والتَّمثيل والمقارنة بين ما تتميَّز به الفونيمات العربية عن الفونيمات الغربية، وما قدَّمه مارتنيه في هذا الباب كذلك، كما ذكرنا بعض الخصائص التي تميّزت بها اللّغة العربية والتي أغنتها عن الاجتهادات التي قام بها العلماء الغربيون من أجل إثراء لغتهم.

3 _مالا يتناسب مع خصائص اللّغة العربية من الدّراسات الغربية للفونيم:

ويندرج تحت ذلك ما يلي:

أ_ القاعدة الرابعة لتروبسكوي: إذ يقول:" إنّ أيّ صوتين وإن توفّرت فيهما شروط القاعدة الثالثة لا يمكن اعتبارهما بالرّغم من ذلك وجوها مميلة لذات الوحدة الصّوتية إذا أمكن أن يقع أحدهما في جوار صاحبه وبعبارة أخرى إذا أمكن أن يكونا حدّين أو طرفين في مجموعة صوتية وذلك في ملابسات يظهر فيها أحد الصّوتين منفردا معزولا."[1]

***لقد أغفل جمهور علمائنا العرب هذه القاعدة في مؤلّفاتهم عند الحديث عن الفونيم عند تروبسكوي وقواعده، وربّما يعود ذلك لعدم توافق هذه القاعدة مع نظامنا الصّوتي العربي.

ب_ النّبر: "وهو وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قُورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، والمقطع المنبور بقوّة ينطقه المتكلّم بجهد أعظم من المقاطع المجاورة له، لأنّ النّطق حين النّبر يصحبه نشاط كبير في أعضاء النّطق جميعها في وقت واحد ويترتّب عن ذلك أنّ الصّوت يغدو عاليا وواضحا في السّمع."[2]

"وتختلف اللّغات في استخدام النّبر، فثمّة لغات نبرية وأخرى غير نبرية "[3]، " أمّا اللّغات النّبرية فهي التي تستخدم النّبر كفونيم، فيكون موضع النّبر فيها حرّا، ويستخدم حينئذ للتّفريق بين المعاني أو الصّيغ عن طريق تغيير مكانه[4]. ويُطلق على هذا النّبر اسم النّبر الفونيمي، ذلك أنّ النّبر يقوم بدور فونيمي تمييزي .[5] ومن أمثلة ذلك اللّغات: الإنجليزية

1- تروبسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات (الفونولوجيا)، ص: 56.

2- أحمد محمّد قدّور، مبادئ اللّسانيات، ص: 163.

3- خليل إبراهيم العطيّة، في البحث الصّوتي عند العرب، ص:62.

4- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص :222.

5- محمّد جواد النّوري، علم الأصوات العربية، ص: 266.

والألمانية والإسبانية، فالإنجليزية مثلا من اللّغات ذوات النّبر الحرّ، إذ ليس للنّبر فيها قوانين ثابتة مطّردة، فالكلمة الواحدة مثلا قد يلحقها شيء من تغيّر المعنى بتغيير درجات النّبر ومواقعه كما في نحو: subject –conduct –record –increase–import، ففي هذه الأمثلة وغيرها كثير، ، فإن كان المقطع الأوّل هو المنبور صنّفت هذه الكلمات أسماء، وإن كان الأخير (أو الثاني) صُنّفت أفعالا."[1]

" أمّا اللّغات غير النّبرية فيخضع النّبر فيها لقواعد لا تحيد عنها "[2]، "حيث يثبت نبرها في موضع معيّن و لا يكون حرّا، و النّبر فيها لا يقوم بدور فونيمي ؛أي أنّه لا يستخدم للتّفريق بين الكلمات، وتُعدّ اللّغة العربية من بين اللّغات التي تمتاز بقواعد نبرية يثبت بموجبها النّبر"[3]، وتُمكّن العارف من التّنبؤ بمواقعه ودراجاته بحسب بنية الكلمة ومكوّناتها، فالنّبر في العربية على مستوى الكلمة له قوانين ثابتة مطّردة لا تحتمل أي تنوّع في دراجاته أو مواقعه و من ثمّ لا يُعيبها أيّ تغيير دلالي على أيّ مستوى من مستويات اللّغة، فالنّبر في كتب (k‘a/ta/ba) يقع دائما و أبدا على المقطع الأوّل، و على الثّاني في نحو: كتبْتُ(Ka/t’ab/tu) وعلى الثّالث في كتبته(ka/tab/t‘u/hu)، وهذه المفارقة في مواقع النّبر في الكلمات الثّلاث لا يعني تنوّعا للنّبر في الكلمة variation، حيث إنّ كلّ موقع ثابت مقرّر لهذا التّركيب المقطعي أو ذاك، حسب مكوّنات الكلمة و تتابع مقاطعها،"[4]

"وقد قدّم دانيال جونز المصطلح "سترون " strone للدّلالة على النّوع الواحد من النّبر(يقابل الألوفون) والمصطلح stroneme للوحدة التي تجمع نوعين أو أكثر من النّبر،

1- يُنظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص :517.

2- خليل إبراهيم العطية، في البحث الصّوتي عند العرب، ص :63.

3- محمد جواد النّوري، علم الأصوات العربية، ص: 266.

4- يُراجع: كمال بشر، علم الأصوات، ص: 515-518.

حيث يرى أنّه من الممكن تجميع أنواع من النّبر بشكل يُماثل تجميع مجموعة من الأصوات في فونيمات، ولهذا نجده لا يستعمل المصطلح " فونيم " بالنّسبة للتّمييزات النّبرية."[1]

ج _ التّنغيم:

"هو إعطاء الكلام نغمات (Tones) معيّنة تنتج من اختلاف درجة الصّوت (pitch)، وتتحدّد درجة الصّوت وفق عدد الذبذبات التي يولّدها الوتران الصّوتيان، ويفرّق بعض الدّارسين بين نوعين من اختلاف درجة الصّوت هما:

1-النّغمة (Tone) وهي: الأثر النّاتج من ازدياد عدد الذبذبات أو انخفاضها على صعيد الكلمة.

2- التّنغيم (Intonation) وهو: اجتماع نغمات ضمن مجموعة من الكلمات على صعيد الجملة."[2]

"وسنقتصر الحديث هنا عن النّغمة فقط، ذلك أنّ التّنغيم باعتباره متّصلا بالفونيم اختلف فيه اللّغويون كثيرا، فمنهم من اقتصر على استعمال "الفونيم" في التّحليل الفونولوجي للظواهر الصوّتية داخل حدود الكلمة، وتركوا التّنغيم خارج الدّائرة، وممّن فعلوا هذا دانيال جونز الذي اعتبر مثل هذا واقعا خارج حدود نظرية الفونيم."[3]

"هناك لغات تستخدم النّغمة استخداما تمييزيا، وتُسمّى من أجل ذلك لغات نغميّة أو تونية "[4]، ومعنى هذا أنّها تجعل لاختلاف درجة الصّوت أهميّة كبرى، إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبْعا لاختلاف درجة الصّوت حين النّطق بها."[5]

1- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، 525.

2- أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيات، ص: 226.

3- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص: 229.

4- المرجع نفسه، ص: 226.

5- إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة نهضة مصر، مصر، د. ط، د.ت، ص: 103.

"ومن أشهر هذه اللّغات اللّغة الصينية، إذ قد تؤدّي فيها الكلمة الواحدة عدّة معان، ويتوقّف كل معنى من هذه المعاني على درجة الصّوت حين النّطق بها فكلمة [فان] تؤدّي ستة معان وليس هناك من فرق سوى النّغمة الموسيقية "[1]، "ويظهر هذا الفرق بين هذا النّوع من اللّغات والنّوع الآخر الذي لا يستعمل التون للتّمييز بين المعاني –في كلمة إنجليزية مثل: No، فعلى الرّغم من أنّنا يمكننا أن ننطقها بتنوّعات من درجة الصّوت، فإنّ هذه التّنوعات ليست جزءا من شكل الكلمة، بالتالي تظلّ الكلمة دالة على معنى النّفي كما هي"[2]، "وليس في العربية وظيفة معجمية للتّنغيم لأنّ اللّغة العربية لا تستخدمه بهذه الطّريقة كما تستخدمه الصينية وبعض لغات غرب إفريقيا."[3] ، وقد اقترح دانيال جونز استخدام المصطلح تونيم Toneme " لمجموعة التّنوعات " أو " لعائلة التّنوعات " التونية وكان ذلك عام 1921 وسمّى كلّ عضو من أعضاء التونيم "ألوتون " Allotone، وذلك على نمط تسمية العائلة من الأصوات فونيم Phoneme وكلّ عضو من أعضائه ألوفون Allophone ومع ذلك اعترف **جونز** بأنّه من الصّعب أو من المستحيل أن نحدّد تصور التونيم بالنّسبة للتون في الكلمات المنفصلة، حيث إنّه في اللّغات التونية لا توجد مجموع التونات إلاّ حيث توجد الكلمات في اتّصال مع كلمات أخرى."[4]

***لقد استغنت اللّغة العربية عن مثل هذه الوسائل في التّفريق بين معاني الكلمات، ذلك أنّ لغتنا العربية تعرف ثراء وفيرا في معجمها اللّغوي على عكس بعض اللّغات الأخرى كالإنجليزية مثلا التي نجد معجمها اللّغوي ضيّقا، لذلك فهي تستعمل كلمة واحدة للتّعبير عن عدّة معان، ثمّ إنّ اللّغة العربية تمتاز عن بقية اللّغات بظاهرة الاشتقاق والتي ساهمت في زيادة مفرداتها وتوسيع معجمها اللّغوي.

1- المرجع السابق، ص: 103.

2- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، ص :227.

3- تمّام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، ص :164.

4- المرجع السّابق، ص: 228.

الخلاصة:

لقد تحدَّثنا في الفصل الثّاني عن الموقعية وأثرها في تحديد الفونيم ومكوِّناته والتي جعلها جاكبسون تكمن في الملامح التَّمييزية المتأصِّلة والعروضية إضافة إلى عنصر الاِستبدال الذي ذكره تروبتسكوي وجونز، محاولين في كل ذلك الكشف عن خصائص العربية التي اِنفردت بها من إبدال وقلب معتمدين على الشّرح والتَّمثيل والمقارنة بين ما تتميَّز به الفونيمات العربية عن الفونيمات الغربية، وما قدَّمه مارتنيه في هذا الباب كذلك.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذا البحث تسليط الضّوء على أهمّ عناصر اللّغة، إذ توصّلت هذه الدّراسة العلمية للفونيم بين مفاهيم النّظرية الغربية وخصائص اللّغة العربية إلى مجموعة من النّتائج نلخّصها في خاتمة بحثنا، كما يلي:

_ إنّ فكرة الفونيم موجودة في التّراث العربي حيث تناولها علماؤنا القدامى في دراساتهم عندما حدّدوا حروف النّظام الصّوتي العربيّ وأعطوا هذه الحروف مخارج وصفات، وفرّقوا بينها وبين الأصوات وأبرزوا دورها في تغيير المعاني والدّلالات.

_ يتميّز الفونيم في اللّغة العربية بالعلاقة الوطيدة بين صوته ورسمه ومعناه بحيث تُشكّل هذه الثّلاثية كلاّ متماسكا، فهذه الخاصيّة جعلتها تتفرّد عن باقي اللّغات بل وجعلتها ثابتة غير معرّضة للزّوال.

_ إنّ ما قدّمه الغرب من مصطلحات تابعة للفونيم كالديافون والفاريفون لها وجود في الدّرس الصّوتي العربي من خلال الحديث عن التّنوع اللّهجي، وعن طبيعة الجهاز النّطقي، وتأثر أسلوب الفرد بالعوامل الاجتماعية والنّفسية...إلخ.

_ إنّ فونيمات اللّغة العربية لا تحتاج إلى كلّ ذلك الضّبط الذي عرفه العلماء الغربيون حين ضبطوا فونيمات لغتهم، لأنّ القرءان الكريم حفظ نظامها الصّوتي.

_ يُعدُ التخالف الصّوتي من أهمّ العوامل المميّزة بين معاني الكلمات، إذ تظهر وظيفته أثناء عملية الاستبدال الصّوتي.

_ تتجلّى الوظيفة عند جاكبسون_ إضافة إلى عملية الاستبدال_ في السّمات التّمييزية الخاصّة.

_ لقد عبّرت اللّغة العربية عن هذا الاستبدال من خلال خاصيّة الإبدال، وقد نبغ ابن جنّي في هذا الباب، حيث ذهب أبعد من ذلك فربط هذا الاستبدال بالمعنى.

_ أظهر التحديد المادّي المجرّد لرومان جاكبسون للملامح التّمييزيّة قوّة علاقة فونيمات

اللّغة العربية بمخارجها وصفاتها إذ فسّرت هذه الأخيرة اختلاف معاني الكلمات بسبب تبادل أصواتها.

_ اللّغة العربية من أغنى اللّغات التي تعتمد التّقابل بين الحركات _ما سمّاه رومان جاكبسون الملمح العروضي_ على الرّغم من قلّتها في نظامها الصّوتي مقارنة باللّغات الأخرى.

_ يُعدّ القلب من الخصائص الثّابتة للّغة العربية والذي استطاعت من خلاله توسيع معجمها اللّغوي في حين يستبعد مارتيني هذه الخاصيّة في اللّغات الأجنبية (الفرنسية) بسبب تناسق وتلاصق الفونيمات في الكلمة.

_ تؤدّي موقعية الحروف إلى إنتاج تنوّعات صوتية للفونيم الواحد، وقد تتمسّك الفونيمات بصفاتها مهما كان موقعها فلا تؤدّي إلى هذه التّنوّعات الصّوتية.

_ قد تؤدّي موقعية الفونيم في اللّغة العربية إلى تغيير رسمه إذا كان موقعه الجديد يجعله مُشابها لفونيم آخر موجود في اللّغة العربية.

كانت هذه أهمّ النّتائج التي توصّل إليها البحث، لعلّها تكون بداية لبحوث أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

_القرءان الكريم برواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع:

1. الجاحظ ،الحيوان ،تر: عبد السّلام هارون ،ج3، دار إحياء التّراث ،د، ط، 1969 .
2. ابن النَّديم، الفهريست، تح: رضا_تجدد بن علي المازندراتي، 1971م.
3. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج2، د. ط، د.ت.
4. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ج3، ج5، ج11، دار صادر، بيروت، د. ط، د.ت.
5. أبو الفتح عثمان بن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1993م.
6. أبو ظبي_المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط.1، 2008.
7. أبو عثمان الفتح بن جنّي، الخصائص، تح: محمد علي النّجار، ج.2، دار الكتب المصرية، د. ط، د.ت.
8. أحمد بن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة سنن العرب في كلامها، المكتبة السَّلفية، القاهرة، 1910م.
9. أحمد حساني، مباحث في اللّسانيات، منشورات كلّية الدّراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتّحدة، ط 2، 2013.
10. أحمد كشك، من وظائف الصَّوت اللّغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب، القاهرة، 2006م.
11. أحمد كشك، من وظائف الصَّوت اللّغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب، القاهرة، 2006م.

12. أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2008م.
13. أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند الهنود وأثره على اللّغويين العرب، دار الثقافة، بيروت _ لبنان، د.ط، 1972م.
14. أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللّغوي، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، 1997م.

15. أساسيات علم الكلام، جلورياج بوردن وكاثرين س. هاريس، تر: محي الدّين حميدي، دار الشرق العربي، لبنان، د.ط، د.ت.
16. أنيس فريحة، نظريات في اللّغة، دار الكتاب اللّبناني. بيروت، ط2، 1981.
17. تروبتسكوي، مبادئ علم وظائف الأصوات الفنولوجيا، تر: قنيني عبد القادر، دار قرطبة للطباعة والنشر، زنقة بيرون_ الدار البيضاء_، ط1، 1994.
18. تمّام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناها، الدّار البيضاء_المغرب، د.ط،1994.
19. تمّام حسان، مناهج البحث في اللُّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، د.ط، 1990.
20. جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ترجمت: صالح القرمادي، الجامعة التونسية.
21. حفنى ناصف، حياة اللّغة العربية، مكتبة الثقافة الدّينية، د.ب، ط.1، 2002.
22. خليل إبراهيم العطيّة، في البحث الصّوتي عند العرب، دار الجاحظ للنّشر، بغداد، د. ط، 1983.
23. ر. هـ. رُوبنز، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1997.
24. رومان جاكبسون وموريس هالة، أساسيات اللّغة، تر: سعيد الغانمي، مشروع كلمة
25. رومان جاكبسون، ست محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلي حاكم

26. سمير شريف إستيتيه، الأصوات اللّغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان، 2003م.
27. سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج.4، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 2، 1982.
28. صالح، المركز الثقافي العربي بيروت_ لبنان، ط1، 1994.
29. صبحي صالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2009م.
30. عادل محلو، علم الأصوات بين القُدامى والمحدثين، مطبعة مزوار، الوادي_الجزائر، ط.1، 2009.
31. عبد الرحمان جلال الدين السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة، د.ت، ط3، ج1.
32. عبد العزيز حليْلي، اللّسانيات العامة واللّسانيات العربية، ط:1، الدّار البيضاء، د.ب، 1991م.
33. عبد الغفار حامد هلال، العربية خصائصها وسماتها، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ط5، 2004.
34. عبد القادر الشاكر، علم الأصوات العربية "علم الفنولوجيا"، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، د. ط، د. ت.
35. عصام نور الدّين، علم وظائف الأصوات اللّغوية الفنولوجيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط.1، 1992.
36. فاطمة طبّال، النّظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، المؤسّسة الجامعية للدّراسات و النّشر، بيروت _لبنان، ط.1 ،1993.
37. فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللّسانيات، عالم الكتب الحديث للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط 2، 2016.

38. كاترين فوك و بيارليفوك ، مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، تر: المنصف عاشور ديوان المطبوعات الجامعية، السّاحة المركزية بن عكنون_الجزائر، د. ط، 1984.

39. كمال بشر، دراسات في علم اللّغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د. ط، 1998.

40. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 2000.

41. ماريو باي، أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، ط8، 1998.

42. محمد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1964.

43. محمود السّعران، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النّهضة العربية للطّباعة والنّشر، بيروت، د. ط، د.ت.

44. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، د. ط، د.ت.

45. مكّي درار، الحروف العربية وتبدّلاتها الصّوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد)، مطبعة اِتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2007م.

46. ميلكاإفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، د. ت، ط2، 2000.

47. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللّغة ومناهج البحث اللّغوي، دار هناء، القاهرة، ط 1، 2000م.

المذكّرات:

48. هناء سعداني، الحروف العربية، دراسة في تطّورها والعلاقة بين الّصوت والرّسم والمعنى، أطروحة دكتوراه، جامعة حمّة لخضر الوادي،2012_2013.

المجلاّت:

1. مجدي حسين أحمد شحادات، نظريّة الفونيم نشأة وتطوّر، مجلّة الذّاكرة، مخبر التّراث اللّغوي والأدبي في الجنوب الشّرقي الجزائري، العدد7، ماي2016م.
2. محمّد بودية، مفهوم الوظيفة في اللّسانيات الغربية، المؤتمر الدّولي الخامس للّغة العربية.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

المقدّمة

المدخل:

1-مدخل تاريخي حول الفونيم..... 05

2-مفهوم الفونيم في الدّراسات الغربية.....08

أ-مفهوم الفونيم عند جان بودوان.....08

ب-مفهوم الفونيم عند فرديناند دو سوسير.....09

ج-مفهوم الفونيم عند تروبتسكوي.....11

د-مفهوم الفونيم عند رومان جاكبسون.....13

هـ-مفهوم الفونيم عند دانيال جونز.....14

و-مفهوم الفونيم عند ماريو باي.....15

3-صورة الفونيم في التراث العربي.....16

4-الخصائص الصّوتية للّغة العربيّة.....21

الفصل الأوّل: شروط ضبط الفونيم

تمهيد

1-كيفية تحديد الفونيم.....25

2-الديافون وصلته بالفونيم.....31

3-الفاريفون وصلته بالفونيم.....36

_خلاصة الفصل.....38

الفصل الثاني: موقعية الفونيم وخصائصها

-التّمهيد.

1-موقعية الفونيم وخاصية الإبدال والقلب.....40

أ-موقعية الفونيم.....40

ب-خاصية الإبدال.....47

ج-حركة الفونيم في اللّفظ وأثره على الكلمة.....56

2-الفونيم وتنوّعاته الموقعية.....59

3-ما لا يتناسب مع خصائص اللّغة العربية من الدّراسات الغربيّة للفونيم.....64

-خلاصة الفصل.....68

-خاتمة.....70

-قائمة المصادر والمراجع.....73

-فهرس الموضوعات.....78

ملخص

تناولت هذه الدراسة الفونيم بين المفاهيم النّظرية الغربيّة وخصائص اللغة العربيّة ، وتهدف إلى دراسة نظريّة الفونيم وفق التصوّرات الّتي وصلت إلينا من الدّرس الصّوتي الغربي حول مفهوم الفونيم ثمّ محاولة معرفة مظهر وجود عناصر هذه الدّراسة الفنولوجيّة في اللّغة العربيّة وما انفردت به من خصائص ميّزتها عن اللّغات الأخرى، وقد فرضت علينا طبيعة الموضوع المزج بين الجانب النّظري والتّطبيقي وقد بدأ البحث بمقدّمة يليها :

المدخل حيث تضمّن المفاهيم النّظريّة الغربيّة للفونيم ثمّ صورة الفونيم في التّراث العربي ثمّ الخصائص الصّوتيّة للّغة العربية .

الفصل الأول جاء بعنوان شروط ضبط الفونيم وق ضمّ عناصر هي :كيفيّة تحديد الفونيم (عند الغرب والعرب)، ثم الدّيافون وصلته بالفونيم ثم الفاريفون وصلته بالفونيم.

الفصل الثاني جاء بعنوان موقعية الفونيم وخصائصها وقد عالجنا فيه جملة من العناصر هي:

موقعيّة الفونيم وخاصية الإبدال والقلب وكذا الفونيم وتنوّعاته الموقعيّة .

وختمت الدراسة بخاتمة أجملت فيها أهم النّتائج المتوصل إليها .

الكلمات المفتاحية : الفونيم، الفونولوجيا، النظريات الغربية ، خصائص اللغة

Abstract

This study deals with the western concepts of Western theory and the characteristics of the Arabic language, and aims to study the theory of the phonem according to the perceptions that came to us from the Western lesson on the concept of the phonem and then try to know the appearance of the elements of this study in the Arabic language and the unique characteristics of its advantage from other languages , And imposed on us the nature of the subject of mixing the theoretical and applied side and the research began with an introduction followed by:

The entrance included the western theoretical concepts of the phonem, the phonem image in the Arabic heritage, and the sound characteristics of the Arabic language.

The first chapter deals with the conditions of tuning the phoneme. The elements included: how to determine the phonemes (in the West and the Arabs), then the diphons and their connection with the phonemes, then the firiphs and their connection with the phonemes.

The second chapter is entitled "The location and characteristics of the phoneme," in which we dealt with a number of elements:

The site of the phonem and the property of substitution and heart as well as the phonem and its variants.

The study concluded with a conclusion in which the most important results were reached.

Key words : phoneme . phonology . western theories . characteristics of language